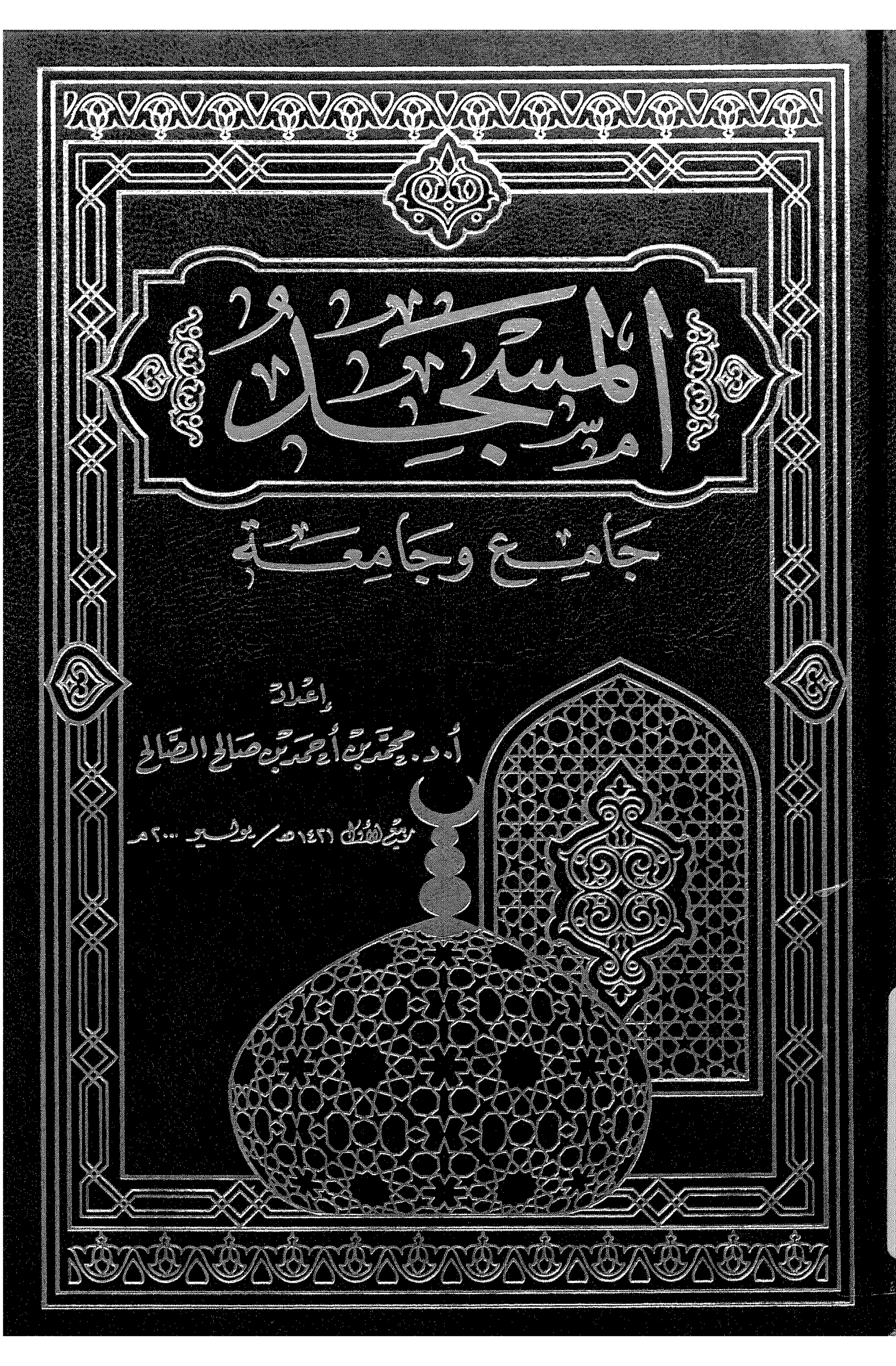
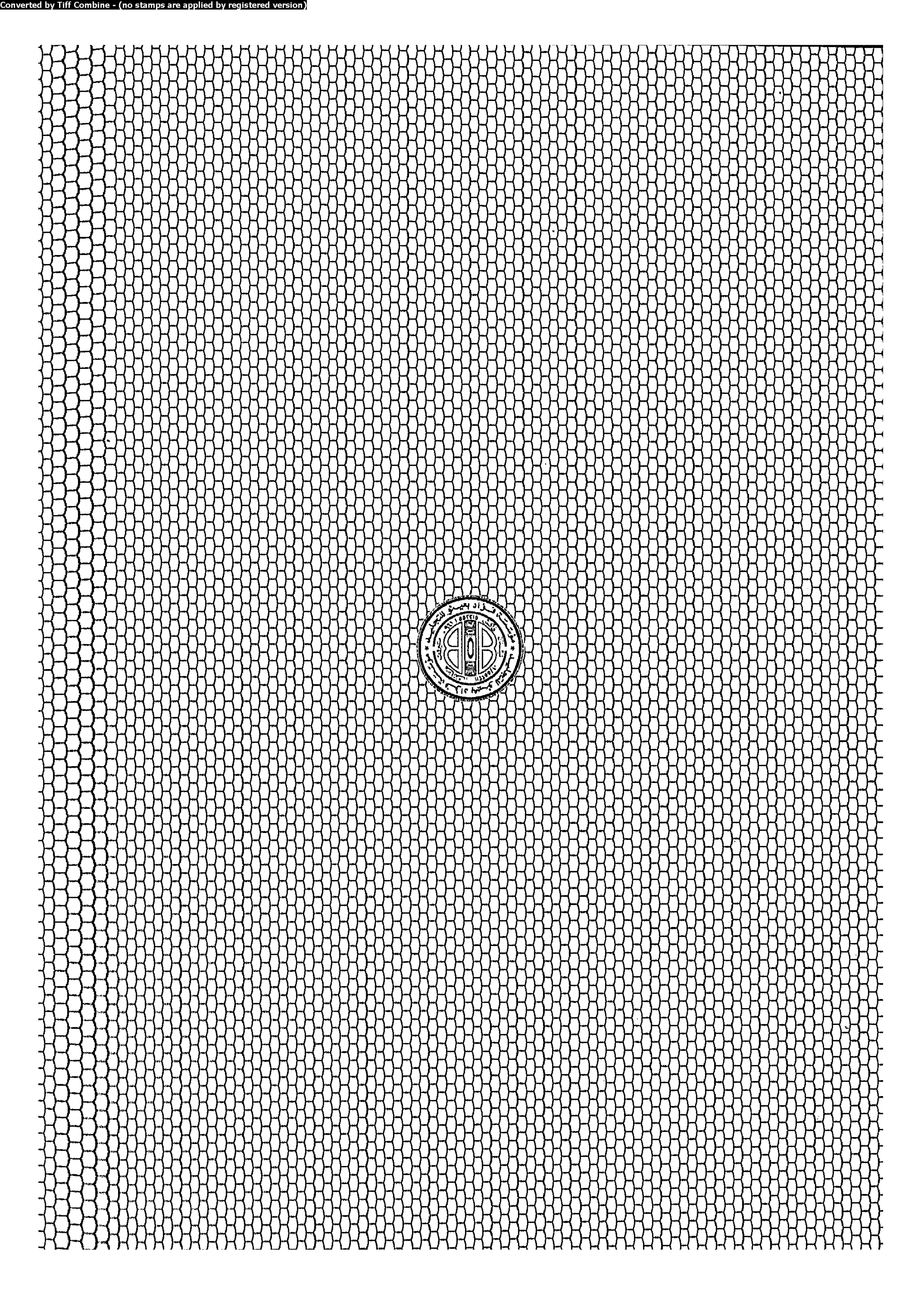
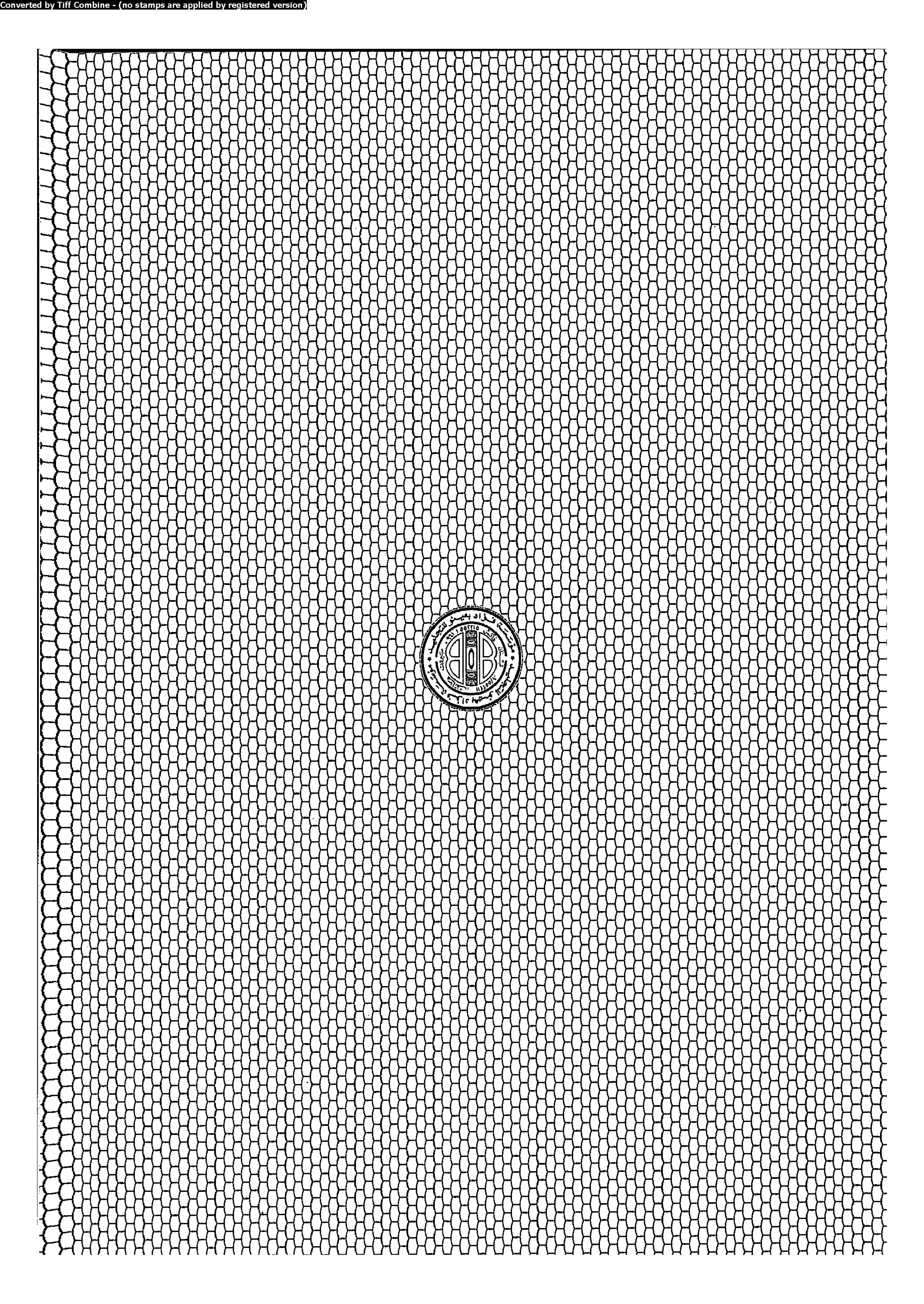


المسجد
جامع وجامعة
إعداد
أ.د. محمد بن أحمد بن صالح الصالح
ربيع الأول ١٤٢١هـ / يوليو ٢٠٠٠م





المسجد

جامع وجامعة

إعداد
أ. د. محمد بن أحمد بن صالح الصالح

ربيع الأول ١٤٢١هـ / يوليو ٢٠٠٠م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ⓒ محمد بن أحمد بن صالح الصالح، ١٤٢١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الصالح، محمد بن أحمد بن صالح
المسجد جامع وجامعة - الرياض
٢١٦ ص، ١٧×٢٤سم
ردمك: ٣-١١٥ - ٩٩٦٠
١- المساجد ٢- التربية الإسلامية أ- العنوان
ديوي ٢١٥ ٢١/١٧٩٢
رقم الإيداع: ٢١/١٧٦٩٢
ردمك: ٣-١١٥-٣٨-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

ت: ٤٠٨٠٨٠٤ - ٤٠٣٦٦٢١
فاكس: ٤٠٨٠٧٩٦

المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم

تقـديـم

إن الحمد لله نحمـده ونستعينه ونستغفـره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهـد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران، آية: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)﴾ [النساء، آية: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١)﴾ [الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فـإن أصدقَ الحديث كتـاب الله وأحسنَ الهدي هدي مـحمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار... وبعد:

فإن للمسجد في الإسلام منزلةً عظيمة ومكانة عالية في رفع شأن الأمة حتى تصبح خير أمة أخرجت للناس كما وصفها القرآن الكريم، والمسجد في عصرنا الحاضر هو أمل الأمة، في النهوض بها من غفوتها، والأخذ بيدها في هذه الأيام الحالكة، التي هان فيها المسلمون على أنفسهم واستبد بهم أعداؤهم، وتسلطوا على أرزاقهم، وجاء ذلك لبعدهم عن دينهم، وتخاذلهم في أمر شريعتهم وضعف الوازع الديني في نفوسهم.

ويوم كان المسجد حجر الزاوية في مجتمع المسلمين، وملاذهم في العبادة والعلم والتعاون على الخير سادوا الدنيا وعمروها بالخير والصلاة، ونشروا في أرجائها العلم النافع والعمل الصالح، وحين تخلى المسلمون عن دينهم، وعن فهم رسالة المسجد في مجتمعهم، صاروا أضعف الأمم وأهونها لأنهم بعدوا عن سرِّ قوتهم وترياق سعادتهم، وقد كان للمسجد قديماً دورٌ عظيم في بناء الفرد المسلم - عقيدة وشريعة - على امتداد التاريخ الإسلامي وخرّج أجيالاً نشروا العلم والدين في أرجاء الدنيا وصاروا مثالاً وقدوة صالحة لغيرهم من أبناء الأمم الأخرى.

فقد كانت المساجد مراكز اشعاع لحضارة متميزة بين الحضارات والثقافات، في وقت كانت أوروبا فيه تحارب العلم والعلماء وتعيش أحلك عصور الجهل والانحطاط ولذا كان حرص الشرع الحنيف على ربط أبناء الإسلام بالمسجد وحثهم على المحافظة على ارتياده، وشهد بالإيمان لمن عَمَرَه واعتاده.

وكانت رسالة المسجد رسالة عامة شاملة مستمدة من عموم رسالة الإسلام وعموم بعثة رسول الإسلام محمد ﷺ، فكان المسجد جامعاً

للعبادة، وجامعة للعلم والعلمـاء، دُرِّستْ فيه شتى علوم المعرفة من علوم شرعيـة ولغة وفلك وطب ورياضيات وغيـر ذلك. ولكي تعود الأمة إلى سالف عهدها وتالد مجدها لابد لها من العودة لدور المسجد في بناء الأمة وتربية الأجيال على أساس من الخلق القويم والعلم الرشيد.

وتلك الرسـالة التي أقدمـها للقـراء الأعزاء إنما أحسـبهـا خطوة على الطريق، طريق العودة الراشدة إن شاء اللَّه واللَّه غالب على أمره.

وصلى اللَّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أ.د. محمد بن أحمد الصالح



مفهوم المسجد

المسجد في اللغة هو :

الموضع الذي يسجد فيه من الأرض، فالأرض كلها مسجد (عدا مسجد الضرار وكذا كل مكان ورد فيه نهي خاص)، وفي الحديث الشريف: «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»[1]، وقد كان في الأمم السابقة وصفاً مشتقاً لمكان السجود، ثم أصبح علماً في الإسلام على الموضع الذي يحاط بالجدران، وتؤدي فيه الجماعات المسلمة الصلوات الخمس كل يوم، وصلوات الجمع والعيدين : " الفطر، والأضحى " .

سمي بذلك لما في الصلاة من سجود، أي: وضع الجبهة على الأرض، أو لأن الصلاة خضوع وخشوع وانقياد. وسجد يسجد سجوداً: خضع وانقاد.

لفظ المسجد في القرآن الكريم :

وقد ذكر المسجد في القرآن الكريم إفراداً تارة[2]، وجمعاً تارة أخرى[3]. وسمي منه المسجدان العظيمان: "المسجد الحرام" في مكة

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري، كتاب التيمم، باب بدون ترجمة ١/ ٥١٩ ح(٣٣٥)، ومسلم، كتاب المساجد، المقدمة، ١/ ٣٧٠ - ٣٧١ ح (٥٢١)، كلاهما عن جابر بن عبدالله .

(٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ الأعراف: ٢٩ وقوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ الأعراف: ٣٢ .

(٣) ومن ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ البقرة : ١١٤، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ التوبة: ١٨، وقوله: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن : ١٨ .

المكرمـة، في آيـات كثيـرة[1] و«المسجد الأقصى» في القدس، وجمعاً معاً في قوله تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الإسراء، الآية :١].

بين المسجد والجامعة :

ظهرت لفظة الجامع، وصفاً تارة حيث يقـال: المسجد الجامع، ومضافاً تارة أخرى فيقال: مسجـد الجامع. ثم صاروا يطلقون الجامع على المسجد الكبير الذي يكون فيه منبر وتصلى الجمع وصلاة العيدين فيه مع الصلوات الخمس.

وخص لفظ المسجد بالمسجد الصغير الذي لايكون فيه منبر، ولا تصلى فيه إلا الصلوات الخمس دون الجمع وصلاة العيدين وقد يطلق عليه زاوية

المسجد في الشرع :

هو كل موضع من الأرض لم يرد في الشرع مايمنع الصـلاة فيه، ولقد كان المسجـد في شرع من قبلنا وصفاً مـشتقاً من لفظ السجـود حيث كان يطلق على أي مكان يتم فيه السجود للّه ولغير اللّه،ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿ **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [آل عمـران، الآية:٤٣] وقولُه تعالى: ﴿ **قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا** ﴾ [الكهف، الآية: ٢١]، وقـولُه: ﴿ **لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا**

---

(١) وهي على سـبـيل الحصـر: سـورة البقـرة، الآيات : ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٩١، ١٩٦، ٢١٧، المائدة: ١، الأنفال : ٣٤، التوبة : ٧، ١٩، ٢٨، الحج : ٢٥، الفتح : ٢٥، ٢٧.

لِلْقَمَرِ﴾ [فصلت، الآيـة: ٣٧]، وقولُه: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [النمل، الآية: ٢٤]، وقـولُه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف، الآية: ١٠٠]. ثم صار في الإسلام علماً على ذلك البناء الذي لا يسجد فيه إلا للَّه فقط، والذي يمتنع فيه من الأعمال مالا يمنع فـي غيره من الأماكن، فإذا كان مكان السـجود للَّه غير محاط بجدران أو مـحاط بجدران لكنه غير مسقـوف فإنه يطلق عليه لفظ المصلى ولايعـتبر مـسجـداً، وذلك مثل مصـلى الرجل من بيتـه ومصلى العمال في أماكن عملهم.

والفرق بين المسجد العلم والمصلى واضح، وهو أن المكان بعد أن يصير علماً على مـسجد مـا فإنه يوقف على حكم ملك اللَّه تعـالى، ولايجوز لأحد أن يمتلكه أو يبني عليـه بناء آخر غير المسـجد، أو يتصرف فـيه بأي تصرف ناقل للملكيـة أو مغير لطبـيعة العمل الذي يؤدي فـيه وهو الصلاة والسجود للَّه تعالى، حتى ولو تهدم بناء المسجد المقام على هذا المكان.

أما المصلى فإنه لا يأخذ نفس هذه الأحكام حيث يجوز نقله إلى مكان آخر واسـتغـلال مكانه في أي غـرض آخر، وأما حـديث : «**جعلت لي الأرض مسـجداً وتربتهـا طهوراً فحـيثـما أدركتك الصـلاة فصلي**»[1] فإنه لاينبغي أن يحمل على ظاهره، بحيث يكون كل موضـع شبر يسجد عليه مسلم مسجداً، وإنما هو محمول على أن اللَّه سبحانه وتعالى قد امتن على أمة محمد ﷺ فجعل لهم كل موضع في الأرض مكاناً تصح فيه الصلاة، ويصح به التيمم.

---

(١) تقدم تخريجه، ص : ٧. وهو متفق عليه.

وعلاوة على أن المسجد مكان للصلاة والعبادة فهو أفضل بقعة على الأرض وأطهرها، وأحب الأماكن إلى اللَّه مساجدها حيث قد أحبها اللَّه بحب من فيها ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٨]. وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أحب البلاد إلى اللَّه مساجدها»[1].

هذا فضلاً عن أن المكان الذي يسجد فيه المسلم يفرح به ويبكي على فقده عند وفاته، فإن للأرض عاطفة تفرح وتحزن وهي عند فرحها تشرق وتنير وعند أسفها وحزنها تبكي قال اللَّه تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر، الآية:٦٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان، الآية: ٢٩].

فالسماء والأرض هنا لم تبكيا على قوم فرعون؛ لأنهم كانوا قوماً مجرمين غير أنه -كما نقل- عن الإمام علي بن أبي طالب - رضي اللَّه عنه - إذا مات المؤمن بكى عليه موضعان : موضع في السماء، وموضع في الأرض. أما الذي في الأرض فهو موضع صلاته لأنه فقد العابد الراكع الساجد الذاكر للَّه عليه، وأما الذي في السماء فإنه الموضع الذي كان يرفع منه عمله الصالح إلى اللَّه تعالى، وما ذلك إلا لأن جميع مافي الكون يسبح للَّه ويسجد له قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء، آية :٤٤]، وقال عز من قائل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ

---

(١) رواه مسلم ، كتاب المساجد ، باب فضل الجلوس في مصلاة بعد الصبح وفضل المساجد ٤٦٣/١ ح (٦٧١).

يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج، آية :١٨]، وقال جلا وعلا: **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾** [النحل،آية :٤٩]، وقال: **﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾** [الرعد، آية : ١٥].

فإذا سجد الإنسان فإن المكان الذي يسجد عليه يألفه ويستبشر به ويفرح لوجوده عليه، وإن مات بكى على فقده ؛ لأنه فقد مَنْ يذكر اللَّه فيه ومن يسجد للَّه عليه، وهو حينئذ يستشعر الوحدة والاغتراب ومن هنا كانت المساجد أفضلَ وأطهر بقاع الأرض وأشرفها وأحبها عند اللَّه عز وجل.

دور المسجد في حياة الأمة :

إن المسجد مركز هداية دائمة، وتوجيه ديني وفكري وتعليمي ومعنوي، وروحي، وأخلاقي، وتربوي وأدبي واجتماعي وعسكري ومركز تآخ وتساو يستقبل المسلمين دون تفريق بين عرق وعرق، أو جنسية وأخرى، أو لون ولون، للرجال مكانهم، وللنساء المكان المختص بهن.

وبهذا فقد أزال المسجد مبنى ومعنى فوارق الأجناس، والألوان والأوطان والرتب والدرجات، وأصبح الناس فيه سواسية كأسنان المشط لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح.

وبهذا التعريف للمسجد، وبما أوضحنا من طبيعته وشخصيته، ووظيفته الدينية، أصبح المسجد الساحة الروحية التي انطلقت منها نداءات التوعية والتوجيه التي من أهدافها إخراج الناس من الظلمات إلى النور، يقول تعالى في محكم تنزيله: **﴿آلر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ**

الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [إبراهيم، الآيــة : ١]، وذلك هــو التصــوير الدقيــق للصــوت الذي ينبعث من المســجـد، صــوت فيه توجـيه ومــحبـة وتسامح وســلام وأمان ووئام واطمــئنان، وإعلاء لصــوت العــقــل، والإصـــلاح والهــداية والرشــد، وفيــه بيــان لما يحق الحق ويزهــق البــاطــل، ويأمــر بالمعروف وينهــى عن المنكر، ويجلب الخير ويبعد الضرر، إنها دعوة الخير والصلاح والإصـــلاح تنطلق من المسجد حين يستمع المسلم إلى كلمات : حي على الصـــلاة، حي على الفـلاح. حقاً كــان المسجـد ولايزال دعوة للفلاح ونداء للمفلحــين.

لقد كان المسجـد النبوي ميدان نزول الوحي، حيث اعتــاد جبريل عليه الســلام أن ينزل بــالوحي على رســول اللّه ﷺ بعــد الــهـجـرة يوحي له مايوحَي، والمسجـد هو المدرسة، والمعهد والجــامعة، ففــيه وضعت أسس الشريعة الإســلامية من علوم سنة وشريعــة، وعلوم لسان، وسنن أكوان، وخير شــاهد على ذلك أن فقه المدينة قد نشأ وازدهر في المســجد النبوي، وأن المسجد النبــوي الشريف كان مقــصداً لجميع أئمة الفــقــه الإسلامي، حيث تربــت لديهم في رحابة المــلكـــة الفقهية التي وضعــوا على ضوئها قواعــد مذاهبهم فيمــا بعد. ومــع المسجد النبويّ كان الحرم المكي الشريف قبلة العلماء، حيث أمــه الكـثير والكـثير من علماء الأمــة من رجال الفقه والتفســير والحديث، كما كــان الحرم المكي مهوى أفئــدة جميع المسلمين، وتأتي بعد ذلك المساجد في الكوفـــة والبصرة وبغداد وفي الشـــام، وفي مصــر كان الجــامع الأزهر الشريف، وجــامع الزيتونة في تونــس، وجامع القرويين في فــاس، وجـميعــها أصبحت جــامعات تدرس جـميع العلوم الدينية والتجريبية.

وفي المسجد النبوي الشريف كان الرسول ﷺ خير معلم ومؤدب يبلغ شريعة اللَّه لأصحابه **﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾** [المائدة، الآية: ٦٧]، وبكل تلك المساجد كان الخير والنور والهدى. ولهذا فقد ورد أن التعليم والتعلم في المسجد أفضل من سائر الأماكن، فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل اللَّه، ومن دخل لغير ذلك كان كالناظر إلى ماليس له**»[1]، وما ذلك إلا لما في المسجد من الروحانية التي تباعد بين طالب العلم والشيطان، فلا يكون بداخل المسجد صارف لطالب العلم عن تحصيله، وفي المسجد يكون طالب العلم قريباً من اللَّه، وكلما كان قريباً من اللَّه، كان أكثر تحصيلاً للعلم، قال اللَّه تعالى: **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾** [البقرة، الآية: ٢٨٢] ولقد أنشد الإمام الشافعي رحمه اللَّه:

شكوت إلي وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ... ونور اللَّه لايهدي لعاصي

من أجل هذا كله فقد اعتبر المسجد الركيزة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي، ترسيخاً لعقيدة الإسلام وعباداته وقيمه، وضماناً لتماسك المسلمين وتوادهم كالجسد الواحد.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٥٠) والحاكم في المستدرك (١/ ٩١) وابن حبان في صحيحه ح(٨١) موارد.

ورسالة المسجد رسالـة شاملة مستمـدة من رسالة الإسلام نفسه، أبان عنها القـرآن الكريم - يقـول عز منْ قائل: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَىٰ أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التـوبـة، الآية : ١٨]، وفـصّل مراميهـا رسول اللّه ﷺ في سنته قولاً وفعلاً وتقريراً، وعاشـها واقعاً في الحياة صـحابة رسول اللّه ﷺ وخلفاؤه الراشدون والتـابعـون لهم بإحسان في القـرون الأولى الزاهرة، وأحـيـاها من بعـدهم علمـاء الأمـة في كل العصور والأزمان ينعمون بأفيائها ويواجـهون كيد الأعداء ومكرهم لحجبها أو طمسها.

المسجد جامع وجامعة :

ظل المسجد - وسيظل بإذن اللّه تعالى - على امـتداد التاريخ البشري، دعامة أساسية يقوم عليـها تكوين الفرد المسلم وبناء المجتمع الإسلامي في جميع العصور وعبر التاريخ الطويل.

فبدون المسجد لايمكن للفرد أن يتربى روحياً وإيمانياً وخلقياً واجتماعياً، وبدون المسـجد لايسـمع الفرد صـوت النداء العلوي الخـالد : اللّه أكبـر يجلجل في سماء الدنيا فيهز المشاعر ويحرك أوتار القلوب.

وفي المسـجد يـنصت المسلم بوعي عـميق إلى سـمـاع الموعظة وداعي الحق، كمـا في خطبـة الجمعـة وغيرها، تتفـاعـل بها روحه ونفـسه، وتتأجج بتأثيـرها مشاعره وأحاسيسـه ويعمرَ قلبَه يقـينُ عقـيدته، وصدقُ عبادته، ونقاءُ سريرتـه.

إن للمســجد دوره العظيم في بناء المسلم " عقـيدة وعبادة وأخـلاقاً " على امتـداد تاريخ الأمة الإسلاميـة، ذلك أنه بدون المسجد لايتعلـم عامة المسلمين أحكام دينهم وتنـظيم دنياهم، واسـتبـصـار الحـلال والحـرام في حيـاتهم. ويوم أن عزل التعلـيم من المسجد، وعـزل المسجد من رسـالته العلميـة التي كان ينهض بها، وخصص للعلوم مـؤسسات مسـتقلة، حرم الكثير من المسلمين من هذا العلم المفروض، الذي كان له روحانية المكان، وبركة العبـادات، وأصـبح يصعب على عامـة المسلمين تعلم أحكام قراءة القرآن الكريم، ومعرفة أسباب النزول، وفهم لطائف التفسير وفقه الحديث.

وغني عن البـيـان توضـيح الدور الـذي ينهض به المسـجـد في إثارة عواطف الحب والإخاء بين المسلم وأخيه وهما يدرسان بالمسجد، إذ تتفاعل أنفسهمـا على أسس المحبة والرحمة، والتعاون والتكافل، وهمـا يسمعان ويدرسان الحـديث والفقه والتـفسيـر، وكل مايحـتاج إليه من نظم الحـياة الاجتمـاعية والاقتـصادية، ومايتصل بذلك من علوم اللغـة والتاريخ، مما يقوي من عقيدة المسلم، ويصحح من سلوكه، وينهض بالمتعلم إنساناً سوياً مستقيماً، يؤدي دوره في الحياة، خيـراً في نفسه، وخيراً لمجتمعه، وأهله، ورحمة للناس جميعاً.

لقد أخرج لنا المســجد أجيالاً غاية في الطهـر والنقاء، وغاية في الحب والإخـاء، والبطولة والرجولة والمروءة، وكانوا في تقدمهم العلمـي ورقيهم الحضاري مثالاً للقدوة، ومجالاً للتنافس في الأخذ منهم، والاهتداء بـهم، فكانوا الحجـة في العديد من ميـادين الحياة، فـأعطوا من علومهم وواسع ثقافـتهم وبحـوثهم مافرض أسـتاذيتـهم على عالمهم، وعلى الأجـيال من

بعدهم فازدهرت بهم الحياة، وسعدت بهم الأمم، وعم الخير العالم كله.

ومن المحيط الأطلسي إلى حدود الصين، حفظ التاريخ الإنساني عبقرية المسلمين العلمية والسياسية، وتفوقهم الاقتصادي والاجتماعي، وخلق الرحمة والعدل مع من يعيشون معهم، وأصبح الإسلام والمسلمون موضع التقدير والإعجاب، والتأثير والقدوة.

لقد تغيرت الدنيا، فقامت دول وسقطت أخرى، وجدَّتْ أحداث كثيرة وغريبة، وأعاد التاريخ كتابة صفحاته من جديد، ومع كل هذا ظل ما أراده المسلمون للبشرية ولخير الإنسانية، قائماً لم يختف، قوياً لم يهن؛ لأنه الأصيل والحق، وهو نتاج من هدي اللّه رب العالمين.

الترغيب في بناء المساجد وعمارتها:

بعد أن عرفنا فضل المساجد وشرفها، فقد ورد مايدل على فضل بنائها وعمارتها المادية والمعنوية، فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عثمان رضي اللّه عنه أنه قال لما بنى مسجد رسول اللّه ﷺ: إنكم أكثرتم علي وإنِّي سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: **«من بنى مسجداً يبتغي به وجه اللّه بنى اللّه له بيتاً في الجنة»**.

وفي رواية: **«بنى اللّه له في الجنة مثله»**[1]، وعن أنس رضي اللّه عنه أن النبي ﷺ قال: **«من بنى مسجداً صغيراً أو كبيراً بنى اللّه له بيتاً في الجنة»**[2]، وعن عمرو بن عبسة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال:

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري رقم: ٤٥٠، ومسلم برقم: ٥٣٣ في المساجد.

(٢) رواه أبو يعلي في مسنده برقم: ٤٠١٨.

«من بنى للَّه مسجداً ليذكـر اللَّه فيه بنى اللَّه له بيتا في الجنة»[١]، وعن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه قال: سمـعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«من بنى مسـجداً يذكر فـيه اسم اللَّه بنى اللَّه له بيـتاً في الجنة»**[٢]، وعن علي رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من بنى للَّه مسجداً بنى اللَّه له بيتاً في الجنة»**[٣]، وله عن جابر رضي اللَّه عنــه أن رســـول اللَّه ﷺ قـــال: **«من بنى مسـجداً للَّه كـمفحص قطاة أو أصـغر بنى اللَّه له بيتــاً في الجنة»**[٤]، وعن عبداللَّه بن عمــرو قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من بنـــى للَّه مسجداً بنى اللَّه له بيتـاً أوسع منه في الجنة»**[٥]، وعن واثلة بن الأسقع رضي اللَّه عنه قـــال سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«من بنى مسجداً فـصلى فيه بنى اللَّه عز وجل له في الجـنـة أفضـل مــنه»**[٦]، وعن ابن عبـــاس رضي اللَّه عنهما عن النبي ﷺ قال: **«من بنى للَّه مسجداً ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى اللَّه لـه بيتـاً في الجنة»**[٧]، وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ

---

(١) رواه النسائي في سننه المجتني ٢/ ٣١.

(٢) رواه ابن ماجه برقم : ٧٣٥ عن عثمان بن عبداللَّه بن سراقة العدوي عن عمر.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه برقم : ٧٣٧.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه برقم: ٧٣٨ وصحح إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة ١/ ٩٤

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٢١ برقم : ٧٠٥٣.

(٦) رواه أحمد في المسند ٣/ ٤٩٠ برقم ١٥٩٨٥ وذكره في مجمع الزوائد ٢/ ٧.

(٧) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٤١ . كشف الأستار برقم ٤٠٢ .

قال: **«من بنى للّه مسجداً قدر مفحص قطاة بنى اللّه له بيتاً في الجنة»**(١)، وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«من بنى للّه مسجداً ولو كمفحص قطاة بنى اللّه له بيتاً في الجنة»**(٢)، وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«من بنى بيتاً يعبد اللّه فيه من مال حلال بنى اللّه له بيتاً في الجنة من در وياقوت»**(٣)، وعن عائشة رضي اللّه عنها قالت: قال رسول اللّه ﷺ: **«من بنى للّه مسجداً بنى اللّه له بيتاً في الجنة»**(٤)، وعن عائشة رضي اللّه عنها أن النبي ﷺ قال: **«من بنى للّه مسجداً لا يريد به رياء ولا سمعة بنى اللّه له بيتاً في الجنة»**(٥)، وعن أبي بكر الصديق - رضي اللّه عنه - قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«من بنى مسجداً بنى اللّه له بيتاً في الجنة»**(٦)، وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه عن النبي ﷺ قال: **«من بنى للّه مسجداً بنى اللّه له بيتاً في الجنة»**(٧)، وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«من بنى لله**

---

(١) كشف الأستار رقم ٤٠١ . وسنن البيهقي ٢/ ٤٣٧ .

(٢) المرجع السابق ، رقم : ٤٠٣ .

(٣) المرجع السابق ، رقم : ٤٠٥ .

(٤) المرجع السابق ، رقم : ٤٠٤ .

(٥) ذكره الهيثمي في مجمع الذوائد ٢/ ٨ .

(٦) ذكره الهيثمي في مجمع الذوائد ٢/ ٨ .

(٧) أخرجه الطبراني في الأوسط ح(٤٦٤١) ، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٨) فيه المثني بن الصباح ضعفه يحى وغيره ووثقه ابن معين في إحدى الروايات .

مسجداً يراه اللَّه بنى اللَّه له بيتاً في الجنة، فإن مات في يومه غفر له، ومن حفر قبراً يراه اللَّه بنى اللَّه له بيتاً في الجنة، وإن مات في يومه غفر له»[1]، وعن أبي أمامه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من بنى للَّه مسجداً بنى اللَّه له في الجنة أوسع منه»[2]، وعن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «من بنى للَّه مسجداً بنى اللَّه له بيتاً في الجنة» رواه الطبراني ورواه أحمد بلفظ: «فإن اللَّه يبني له بيتاً أوسع منه في الجنة»[3]، وعن نبيط بن شريط قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «من بنى مسجداً بنى اللَّه له بيتاً في الجنة»[4]، وعن أبي قرصافة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ابنوا المساجد وأخرجوا القمامة منها، فمن بنى للَّه مسجداً بنى اللَّه بيتاً في الجنة». قال رجل: يا رسول اللَّه وهذه المساجد التي تبنى في الطريق؟ قال: «نعم وإخراج القمامة منها مهور الحور العين»[5].

هكذا أورد هذه الأحاديث أو أكثرها المنذري في الترغيب والترهيب والهيثمي في مجمع الزوائد، ومجموعها يدل على أن الحديث متواتر

---

(١) المرجع السابق، رقم: ٢/ ٨، وفي الميزان، برقم: ٦٢٩٢.

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٨/ (٧٨٨٩)، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٨) فيه على بن يزيد وهو ضعيف.

(٣) المسند برقم: ٢٧٥٩٩.

(٤) رواه الطبراني في الأوسط ح (٢٢٣٦) وفيه كذاب.

(٥) أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ١٩ ح(٢٥٢١) والثعلبي في التفسير (٥/ ق١٨٧/ ١) وعزاه ابن عراق في تنزيه الشريعة للضياء المقدس في المختارة. قلت: وسنده ضعيف فيه مجاهيل.

حيث رواه ثمانية عشر من الصحابة، وبعضهم روى حديثين كابن عباس، وعائشة، وأبي هريرة رضي اللّه عنهم، ومافي بعضــها من الضعف ينجبر برواية الآخرين، فيدل علــى القطع بأن النبي ﷺ رغب في بنـاء المساجد، وهذا تأييد لما جاء في القــرآن الكريم حيث جعل العــمارة المادية للمساجد أي إقامــتها وإنشاءها مظهــراً من مظاهر الإيمان باللّه وباليوم الآخر، كــما جعل العمارة المعنويــة للــمساجد بأداء فريضة الصلاة فيــها والذكر والدعاء وصفاً للمؤمنين باللّه واليوم الآخر، لأن الذين يعمرون المساجد يريدون أن يعمر هذا الدين وأن يستمر وأن ينتشر، فهم يبنون قلاعاً لرفع راية التوحيد خفاقــة في الأرض، حيث يقول عــز وجل: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَــنَ بِاللَّهِ وَالْيَــوْمِ الآخِـرِ وَأَقَــامَ الصَّـلاةَ** ﴾ [التوبة:١٨]، وحــيث يقــول رسول اللّه ﷺ: «**إذا رأيتم الرجل يعــتاد المساجــد فاشــهدوا له بالإيمان**[1] **ثم قرأ:** ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ** ﴾ [التوبة،الآية : ١٨]».

أما أعداء الله فلا يريدون ذلك ولايتمنونه، لأن المساجد تهدد بقاءهم، وتحول بينهم وبين شــهواتهم، وتنهي تواجدهم في الأرض، قــال تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا . . .** ﴾ [البقرة، الآية: ١١٤].

ما يكره في بناء المساجد من الرياء والسمعة :

اشترط في بناء المسجد أن يكون البناء للّه تعــالى، يريد به صاحبه وجه اللّه تعالى والدار الآخرة، لا يريد به رياء ولا ســمعة، ولا يمتدح به، ولا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٦٨ وابن ماجه ج٨٠٢ ، وابن حبان ح(٣١٠)

يمن به على المصلين، وإنما يقصد الأجر من اللَّه تعالى، وذلك شرط ثقيل، وعلامة ذلك أن يخفي نفسه، أو لا يحب ذكر فعله على وجه الإعجاب بعمله، وقد جعل ثوابه على ذلك أن يبنى له بيتاً في الجنة، وهذا أجر عظيم، فقد ورد أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا ومن عليها**»[1]، وقولُه في بعض الأحاديث: «**ولو كمفحص قطاة**»: أي الموضع الذي تصلحه من الأرض لبيضها، ولكنه أراد المبالغة في الصغر حتى لايحتقر أحد مابناه من المساجد ولو في غاية الصغر

ما يعد من الأعمال في حكم بناء المساجد :

يدخل في ذلك من أسهم في بناء المسجد أو عمل فيه بيده، أو دفع أجرة العاملين ونحو ذلك من العمل الذي ينسب إلى صاحبه أنه ساعد في بناء المسجد بنفسه أو ماله، احتساباً وطلباً للأجر المرتب على ذلك، وهو أن يبنى اللَّه له مثله أو أوسع منه في الجنة، حيث إن البيت في الجنة لايقاس بما في الدنيا، ولا نسبة بينهما، وذلك مما يدفع من وسع اللَّه عليه إلى المسارعة في الخيرات واغتنام الفرصة في هذه الحياة فيقدم لآخرته ما يجد ثوابه مضاعفاً عند ربه أضعافاً كثيرة .

ثم إنه يستحب عدم الزخرفة والتباهي في المساجد، فقد ذكر البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: «**يتباهون بها ثم لا يعمرونها**»[2]، وهذا الحديث رواه أحمد والدارمي وابن ماجه وغيرهم بلفظ: «**لا تقوم الساعة**

---

(١) رواه البخاري برقم : ٢٨٩٢ عن سهل بن سعد، وله عن أنس برقم : ٢٧٩٦ نحوه .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١/ ٥٣٩ .

حتى يتباهى الناس في المساجد» وفي روايه: **«يأتي على أمتي زمان يتباهون بالمساجد ولايعمرونها إلا قليلاً»**(١).

وروى ابن ماجه عن عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنه مرفوعاً: **«ماساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم»**(٢)، وذكر البخاري عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال: **«لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى»**(٣)، ولأبي داود وابن ماجه عن ابن عباس مرفوعاً: **«ما أمرت بتشييد المساجد»**(٤) أي ما أمرت بزخرفتها .

قال البخاري: وأمر عمر ببناء المسجد، وقال: **«أكن الناس من المطر واياك أن تحمَّر أو تصفَّر فتفتن الناس»**(٥).

وقد كثر التباهي في هذه الأزمنة بالمساجد وأسرف بعض الناس في زخرفتها وكثرة الإنفاق عليها، وقد أفتى المشايخ بجواز تشييدها وتزيينها إذا شيدت المساكن والمنازل، حتى لاتكون المساجد مشوهة حقيرة بالنسبة إلى البيوت والمنازل، لكن بدون الإسراف والمبالغة في الزخرفة والرفع، وكثرة

---

(١) اللفظ الأول رواه أحمد ٣/ ١٣٠، ١٣٤، ١٤٥ برقم: ١٢٣٦٤، ١٢٤٥٧، ١٢٥٢١، ورواه أبو داوود برقم ٤٤٩ والنسائي ٢/ ٣٢، وابن ماجه برقم ٧٣٩ . واللفظ الثاني رواه ابن خزيمة برقم: ١٣٢١، وأبو يعلى برقم ٢٨١٧ .

(٢) رواه ابن ماجه برقم: ٧٤١ .

(٣) فتح الباري ١/ ٥٣٩ .

(٤) في سنن أبي داود برقم: ٤٤٨ .

(٥) فتح الباري ١/ ٥٣٩ .

الإنفاق والألوان والأصباغ والتنوع في مايصرف فيها من الخزف والبلاط والرخام والفرش مما لاحاجة إليه، فهناك الكثير من المساجد في البلاد العربية والإسلامية بحاجة إلى أدنى عمارة، وبحاجة إلى توسعة لتستوعب جموع المصلين الذين لا يجدون لهم أماكن داخل المسجد، وهناك بعض المساجد بحاجة إلى ترميم وصيانة .

أول مسجد بني في الإسلام :

إن بناء المساجد في الإسلام بدأه الرسول ﷺ نفسه أول قدومه المبارك إلى دار الهجرة بالمدينة المنورة من مكة المكرمة .

فلقد توافق مؤرخو السيرة النبوية على أن النبي ﷺ عندما دخل المدينة المنورة لثمان خلون من ربيع الأول بقى ثلاث ليال ثم ركب يوم الجمعة فمر على بني سالم فجمع بهم، فكانت أولَ جمعة صلاها بالمدينة، ثم ركب من بني سالم، فجعل كلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم يقولون : يا رسول اللّه هلم إلى القوة والمنعة، فيقول: خلوا سبيلها - أي الناقة مطيّتَهُ - فإنها مأمورة . وقد أرخى زمامها ومايحركها وهي تنظر يميناً وشمالاً حتى إذا أتت إلى باب ابنى رافع وعمرو بن مالك بن عباد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار. ثم ثارت وهو عليها حتى بركت على باب أبي أيوب الأنصاري ثم ثارت منه وبركت في مبركها الأول، وألقت جرانها[1] بالأرض وأرزمت، فنزل عنها رسول اللّه ﷺ وقال: «**هذا المنزل إن شاء اللّه تعالى**»، واحتمل أبو أيوب رحله - أي متاع النبي ﷺ - وأدخله بيته، فقال رسول اللّه ﷺ: «**المرء**

---

(١) الجران باطن العنق، وأرزمت الناقة صوتت من غير أن تفتح فاها .

مع رحله» فمـضت مثـلاً. وهكذا يكون النبي ﷺ قد أرسى قـواعد ثاني مسجـد بني في الإسلام بعد مسجـد قباء، عندما ألقى عـصا الترحـال، واستقـر بـه النوى في البلدة التي اختارها داراً لـهجرته ، ومـن بَعْدُ مَثْوًى لجثـمانه الـطاهر بعد وفـاته. وهي التي دخلت في التاريـخ تحت اسمـها الإسلامي المدينة المنورة بنـور رسـول اللَّه ﷺ متخلية عن اسمـها الجاهلي (يثرب).

بدأ النبي ﷺ ببناء مسـجد قباء بظاهر المدينة المنورة الذي يـسمى أيضاً مسجد التقـوى لقـول اللَّه سبحانه وتعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التـوبة، الآية : ١٠٨]، ويعد هذا أول مـسجـد بني في الإسلام، ثم بنى في المدينة المنورة مسجده الشريف إلى جانب بيوته .

ويعد المسجد النبـوي أول مكان علمي أنشيء في الإسلام، وفي رحابه قامت أمة الإسلام في المدينة المنورة، وأمـر النبي ﷺ ببناء المساجد في كل مدينة وقرية يدخلهـا الإسلام، فانتشرت المساجد مع انتـشاره وامتداده في كل مكان وصلت إليه الشمس.

انتشار المساجد في العالم الإسلامي :

إن ظاهرة انتشار المساجد في العالـم الإسلامي لم تكن وليدة المصادفة، بل كانت أثراً من آثار سـياسة الـدولة الإسلاميـة المرسومة لعـمارة البلدان الإسلامية في البلدان المفـتوحة، وترجع هذه السياسة إلى الخليـفة عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - حين كتب إلى ولاته في الأمـصار أن يتخذوا مسجداً للجماعة[1] .

(١) خطط المقريزي، ص : ٢٤٧ .

ولقد انتشرت المساجد انتشاراً كبيراً جداً في أنحاء العالم الإسلامي وقام الخلفاء والأمراء والأثرياء والعلماء والفقهاء، طوال قرون مضت، ببناء المساجد في كل مدينة وقرية، انطلاقاً من دعوة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وفعل الخير الكامن في النفوس، لتعمير المساجد وبنائها وتكريمها، والاهتمام بها ، على اعتبار أنها إحدى الصدقات الجارية، ولا رتباطها أيضاً بالشعور الديني من الحماسة العارمة عند المسلمين وبخاصة في الفترات المتأخرة من العصر .

رسالة المساجد :

يحقق المسجد في الإسلام أهدافاً متنوعة، فهو في الأصل مكان طاهر لأداء الصلاة الجامعة التي هي عماد الدين، ولقد جعلت الأرض طهوراً ومسجداً، فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**»[1]، والصلاة تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر، قال سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت، الآية : ٤٥]، كما قال سيدنا رسول اللّه ﷺ: «**من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فلا صلاة له**»[2].

فالصلاة تجمع الناس فتقود إلى التآلف في وقت تصفو فيه الأنفس وتستشعر فيه قربها من اللّه في بيته الذي يحبه ألا وهو المسجد، وبذلك تقوى أواصر الإخاء والترابط والمحبة والتعاون والتعارف بين الناس، فالمسجد ميدان للعبادة ومجال للتعارف ومنطلق للجهاد.

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ٥٤ ح(١١٠٢٥) عن ابن عباس بسند ضعيف .

فضل الصلاة في جماعة :

وصلاة الجماعة أكثر ثواباً من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، فعن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة**» متفق عليه[1] .

والخلاف قائم بين فقهاء المسلمين حول فرضية صلاة الجماعة، حيث قال بذلك بعضهم، وقال آخرون بأنها سنة مؤكدة، وقد استدل الفريق الأول بما رواه أبو داود والنسائي بإسناد حسن أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان، فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**»[2]، كما استدلوا أيضاً بما رواه البخاري ومسلم أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم**»[3]، وقد استدلوا كذلك بأن رسول اللَّه ﷺ «**لم يرخص لابن أم مكتوم أن يصلي في بيته وهو يسمع النداء**»[4]، وقد كان مكفوف

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة ٢/١٤٣ ح (٦٤٥)، ومسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة ح(٣٤٩).

(٢) أبوداود حديث (٥٤٧)، والنسائي ٢/١٠٦ .

(٣) البخاري، حديث (٦٤٤) ومسلم حديث (٢٤٦) من حديث أبي هريرة .

(٤) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ح(١٤٧٩)، الحاكم في المستدرك ١/٢٤٧، وأخرجه مسلم بمعناه ح (٦٥٣) .

البصر ولايجد من يقوده إلى المسجد .

وكما حث الشرع الإسلامي على أداء الصلاة في جماعة، فقد رغب في أدائها في المساجد، وذلك حيث نوع في أساليب الترغيب على النحو التالي :

أ - عد الرجل الذي يتعلق قلبه بالمساجد من السبعة الذين يظلهم اللّه بظله يوم لا ظل إلا ظله، ففي الحديث المتفق عليه: «**سبعة يظلهم اللّه بظله يوم لا ظل إلا ظله منهم ورجل قلبه معلق بالمساجد**»[1] .

ب - جعل أجر الغادي والرائح إلى المسجد أجراً عظيماً، ففي الصحيحين أن رسول اللّه ﷺ قال: «**من غدا إلى المسجد أو راح أعد اللّه له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح**»[2] .

جـ - أخبر الرسول ﷺ في حديث: «**كل سلامي من الناس عليه صدقة**» أن بكل خطوة يمشيها المصلي إلى المسجد صدقة[3] .

د - أخبر الرسول ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه أن كثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة مما يمحو اللّه به الخطايا ويرفع به الدرجات[4] .

هـ - أخبر الرسول ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم أن أعظم الناس

---

(١) البخاري ح (٦٦٠)، ومسلم ح (١٠٣١) .

(٢) البخاري ح (٦٦٢)، ومسلم ح (٦٦٩) .

(٣) مسلم ح (١٠٠٩) .

(٤) مسلم : (٦٦٦) بمعناه .

أجراً في الصلاة أبعدهم فأبعدهم ممشى، وقال : «**صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه خمسة وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع بها درجة وحط عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاة : اللَّهم صلِّ عليه، اللَّهم ارحمه . ولايزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة**»(١) .

وقال عبداللَّه بن مسعود رضي اللَّه عنه: علمنا النبي ﷺ سنن الهدى، وأن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه . وقال رضي اللَّه عنه: حافظوا على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادي بهن، فإنهن من سنن الهدى وإن اللَّه تبارك وتعالى شرع لنبيه ﷺ سنن الهدى ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد رأيتنا وإن الرجل ليؤتي به يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف، وما منكم من أحد إلا وله مسجد في بيته لصلاة التهجد والنوافل، أما الفرائض ففي المساجد، ولو صليتم في بيتوكم وتركتم مساجدكم لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم(٢) .

---

(١) البخاري ح (٦٤٧)، ومسلم ح (٦٤٩) .

(٢) صحيح مسلم : ٦٥٤ في المساجد باب صلاة الجماعة من سنن الهدي، وأبو داود : ٥٥٠ في الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، والنسائي ١٠٧/٢ في الإمامة باب المحافظة على الصلوات حيث ينادي بهن .

لقد حث رسول اللَّه صلوات اللَّه عليه وسلامة على الصلاة في المساجد وعلى بنائها، فعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من بنى للَّه مسجداً، بنى اللَّه له بيتاً في الجنة**» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أحب البلاد إلى اللَّه مساجدها، وأبغض البلاد إلى اللَّه أسواقها**» رواه مسلم، وذلك لما في المساجد من العبادة والخشوع، ومافي الأسواق من الجدال والكذب والباطل.

فضل الصلاة في الحرمين الشريفين خاصة:

عن جابر رضي اللَّه عنه عن النبي ﷺ قال: «**صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه**». رواه الإمام أحمد وابن ماجه[1].

التأدب عند دخول المسجد بأداء التحية له:

إنَّ شأن المساجد عظيم في الشرع الإسلامي ولذلك فقد ندب الشارع الحكيم إلى أداء التحية للمسجد قبل الجلوس فيه، وهذه التحية تحية شوق وإجلال، تربي المسلم على أدب إسلامي رفيع، وذلك كما شرع لنا الطواف بالبيت الحرام تحية له عند القدوم إلى مكة المكرمة، روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي قتادة قال: دخلت المسجد ورسول اللَّه ﷺ جالس بين ظهراني الناس قال: فجلست فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ما منعك أن تركع**

---

(١) أخرجه مسلم ح (١٣٩٤) مختصراً وأحمد في المسند ٢/٢٩، ١٠٢، والترمذي ح (٣٢٥٠) وابن ماجه ح (١٤٠٤).

ركعتين قبل أن تجلس؟ قال: فقلت: يارسول اللَّه رأيتك جالساً والناس جلوس قال :فإذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين»[1].

النهي عن البيع والشراء ونشد الضالة في المسجد :

ولعظيم حرمة المساجد كذلك ولكونها دوراً للطاعة والعبادة فقط، وليست أسواقاً أو شوارع فقد روى الترمذي بسند صحيح أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إذا رأيتم من يبيع ويبتاع في المسجد فقولوا: لا أربح اللَّه تجارتك وإذا رأيتم من ينشد فيه ضالته فقولوا لا رد اللَّه عليك ضالتك**»[2]، وليس ذلك نهياً عن فعل مشروع للمسلم في سائر الأماكن ولكنه تعليم للمسلمين بأن ينزهوا ويطهروا مساجدهم من كل مالا يرتفع في غايته أو وسيلته إلى منزلة المكان الذي يؤمه المسلمون للصلاة والذكر وقراءة القرآن .

رسالة المسجد تتعدى أداء الصلاة :

ولم يكن المسجد في عهد النبي ﷺ ولا في عصر الصحابة ولافي عصور من جاء بعدهم مقصوراً على العبادة فحسب، بل كان مركزاً لانشطة كثيرة ومتعددة منها :

النشاط التعليمي والتربوي :

روى الإمام مسلم في صحيحه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم**

---

(١) مسلم ح (٧١٤)، وابن خزيمة ح (١٨٢٩)، وأبو عوانه ٤١٦/١.

(٢) الترمذي ح (١٣٢١)، والحاكم في المستدرك ٥٦/٢، والبيهقي في الكبير ٤٤٧/٢ .

في بيت من بيوت اللّه يتلون كتاب اللّـه ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم اللّه فيمن عنده»[1].

وانطلاقاً مـن هذا التوجه النـبوي الشريف فـقد كـان المسجـدُ المدرسةَ والمعهـدَ والجامعة الذي فـيه تدرس جمـيع العلوم على مختلف أنواعـها، سواء كانت علوماً شـرعية أم إنسانية أم اجتماعيـة أم أدبية أم علمية . بل لقد أورد الشوكاني في نـيل الأوطار مايرغب ومايدل على طلب العلم في المساجد، فعن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ: «**من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً أو ليعلمه كان كالمجاهد في سبيل اللّه، ومن دخل لغير ذلك كان كالناظر إلى ما ليس له»**[2]، وخير مثال على ذلك هو المسجـد النبوي الشـريف في المدينة المنورة، حيث كـان الرسول ﷺ يبلغ رسالة ربه بالحكمـة والموعظة الحسنة، ويفـسر ويكمل بسنته مـا تعذر على الناس فهمـه، وماسكت عنه الوحي لأصحابه رضي اللّه عـنهم أجمعين. وان جماعـة من الصحابة رضوان اللّه عنـهم يعلمون في مسجـد قباء في عهد رسول اللّه ﷺ، واستخدمت المساجد للتدريس منذ العهد الأول .

روى عن عبداللّه بن عمرو بن العاص - رضي اللّه عنهما - أن رسول اللّه ﷺ مر بمجلسين في مـسجده أحـد المجلسين يدعو اللّه ويرغب فيـما عنده والآخر يتـعلمون فيـه الفقه ويعلمـونه . فقال رسـول اللّه ﷺ كلا المجلسين خـير، وأحـدهما أفضـل من الآخر . أما هـؤلاء فيدعـون اللّه

---

(١) مسلم ح (٢٦٩٩) وأبو داود ح (١٤٥٥)، وابن ماجه ح (٢٢٥).

(٢) نيل الأوطار ج ٢، حديث : ١٦٢، وتقدم تخريجه ص: ١٤ .

ويرغبـون إليه إن شـاء اعطاهم وإن شاء منعـهم، وأما هؤلاء فـيتـعلمون ويعلمون الجاهل وإنما بعثت معلماً ثم أقبل فجلس معهم[1].

وكان النبي ﷺ حريصاً على أن يجعل حواره مع أصحابه وسائر الناس في داخل المسجد بالذات، وهو يهدف بذلك إلى تأكيد الدور التربوي لهذه المنشأة الإسـلامية ومن ذلك مـارواه الصحابي الجـليل عبدالله بن عـمر - رضي الله عنهـما - قال كنا جلوسـاً عند رسول الله ﷺ فـقال: «**إن من الشـجر شجـرةً لايسقط ورقـها وإنهـا مثل المؤمن أتدرون مـا هي؟**» فوقع الناس في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت أن أقولها وفي الحاضرين أبو بكر وعمر وكبار الصحابة ثم قال هي النخلة[2].

وفي هذا الأثر ما يكشف عن :

١ - حرص الرسول ﷺ على التنمية العقلية لصحابته .

٢ - الأدب الجم الذي كـان يتحلى به عـبدالـلَّه بن عمـر حيث منعـه حياؤه أن يقول بما يعلمه وما لم يدركه كبار الصحابة .

لقد وضع رسول الله ﷺ بالبيان العملي رسالة هذه المدرسة الإسلامية وجعل انطلاقها من المسجد وتبعه من بعده السلف الصالح .

يقـول ابن تيمـيـة -رحمـه الله - في ذلك : كـانت مواضع الأئمـة ومجـامع الأمة هي المسـاجد، فإن النبي ﷺ أسس مـسجـده المبارك على

---

(١) أخـرجه الدارمي في سننه - المقـدمة : باب فـي فضل العلم والعـالم ح (٣٤٩)، قلت : وفي إسناده عبدالرحمن الأفريقي ضعيف .

(٢) مسلم ح (٢١٦٥) .

التقوى ففيه الصـلاة، وتلاوة القرآن والذكر، وتعليم العلم والخطب، وفيه السيـاسة وعقد الألويـة والرايات، وتأمير الأمراء وتـعريف العرفاء، وفـيه يجتمع المسلمون لطلب العلم .

فقـد كانت أول آية نزلت على المصطفى ﷺ تدعو إلـى العلم والتعلم قال اللّه تعـالى بسم اللّه الرحمـن الرحيم : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَـانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْـرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْـرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾ [العلق، الآيات : ١ - ٥] .

وآلة التـعليم هي القلم وهي أول آية أقـسم اللّه بهـا في قوله تعـالى: بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿**نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾ [القلم، الآية: ١].

والقلم هو أداة التعليم، وقد ورد ذكـر القلم والتعليم في القرآن الكريم في أكثر من (٨٠٠) موضع ورفع اللّه شـأن العلم في قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر، الآية : ٩]، وقوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [المجادلة، الآيـة : ١١]، وقوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُـهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ**﴾ [فاطر، الآيات: ٢٧ - ٢٨]، فـالعلماء أكـثر خـشيـة للّه تعالى لما توصلوا إلـيه بعلمهم من صفات الجلال والكمال للّه .

وكان العلم هو أنفس شيء في الوجود، ولعظيم قدر العلم فقد وجه اللَّه عز وجل نبيه ﷺ أن يسأله الاستزادة منه في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه، الآية : ١١٤]، ويعلو شأن العلماء وترقى مرتبتهم حتى يكونوا شهداء مع اللَّه على أنه الاله الواحد العزيز الحكيم: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران، الآية: ١٨].

وإذن فلن يعجب القارئ - ونحن نتكلم عن المسجد أن نبسط ونستطرد في الحديث عن العلم وآثاره في تقدم الأمة، ونهضة أبنائها، من العلماء الذين احتفى بهم تاريخ العلوم دينية كانت أو تاريخية أو أدبية أو فلسفية أو طبية أو فلكية أو سواها من بحوث تخدم البشرية، أو تعين على تقدمها، كما أشرنا إلى المساجد التي أصبحت جامعات ذلك العصر، والتي كانت ينابيع للفكر الرائع الذي أخذ بيد الإنسانية إلى مدارج الرقي العلمي وساحاته.

كما أننا لم نغفل عن ذكر المكتبات وأماكنها، وإسهام كبار القوم من الملوك والسلاطين والأثرياء - أقول - ليس عجيباً هذا الاستطراد، إذا أدركنا أن المسجد في الإسلام يجمع منذ البداية بين عبادة الصلاة ودراسة العلم، والتعريف بأحكام الدين، ولذا كان من أدوات المسجد العلمية أن تكون هناك المكتبة التي تعين المسلم على التعرف على دينه، وتشرح له شؤون عقيدته، وتوضح له أخلاقيات تلك العقيدة، وصحيح مناهجها وآدابها، ويصبح الموضوع واضحاً بيناً إذا وعينا أن الإسلام بدأ دعوته للعالم بكلمة ﴿ اقْرَأْ﴾ ومن هنا أصبح العلم والعناية بشأنه واجباً أشارت

إليه السنة الشريفة في قول الرسول ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»[1] بل إن الأمر بالعلم تكرر من جديد بعبارة واحدة بعد الأمر الأول في قوله تعالى: ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**﴾ ولو تأملت في الآية الأولى كلمة ﴿**اقْرَأْ**﴾، وكلمة ﴿ **اقْرَأْ**﴾ في الأية الثالثة، لاستبان لك أن طلب العلم في القرآن إنماهو علم مشروط "بميثاق "، وميثاق العلم الذي يريده الإسلام هو: ﴿**اقْرَأْ باسم ربك**﴾ أي باسم الخير والبر، وكل أخلاقيات الوفاء للإنسانية وأبنائها، تلك الأخلاقيات التي كرم اللّٰه بها الإنسان، ويشير إليها في قوله : ﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**﴾ .

لهذا فلا تعجب حتى نطيل الحديث معك عن المساجد وعن علمائها وشيوخها وحلقاتها ومكتباتها. تلك المساجد التي أصبحت في عصرها منابع للعطاء الفكري، والرأي الذكي العبقري على امتداد التاريخ الإسلامي، وبذلك كانت تلك المساجد تؤدي دور الجامعات والمعاهد العلمية ومراكز البحوث، بما كان فيها من روائع المراجع العلمية التي أصبحت حتى وقتنا هذا كنوزاً للمعارف الإنسانية، تلك الكنوز والمراجع التي يذكرها تاريخ الحضارة والعلوم في اكرم صفحاته .

دور المساجد في نشر فنون العلم والمعرفة :

ولهذا فقد كانت المساجد" مسجد قباء، مسجد المصطفى، المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والمساجد الأخرى في كل من: البصرة والكوفة

---

(١) أخرجه ابن ماجه ح (٢٢٤)، والطبراني في المعجم الصغير ١/ ١٦، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ٣٢٣، والخطيب في تاريخ بغداد ١٠/ ٣٧٥، وسنده ضعيف إلا أن له طرقاً كثيرة يرتقى بها إلى الحسن لغيره .

وبغداد، والأزهر في مصر، ومسجد القيروان في تونس، وجامع القرويين بالمغرب، ومسجد قرطبة في الأندلس وغيرها " بمثابة المعاهد التي تلقى فيها الناس العلم في مختلف فنون المعرفة حتى إنها ارتقت بطلاب العلم حتى أصبحوا منارات للّهدى، ومصابيح للدجى، وكان من بينهم علماء في العقيدة، والتفسير، والحديث، والفقه، والأصول واللغة، والبلاغة والفلك، والطب، والرياضيات وغير ذلك من أنواع العلوم . وفي المساجد تخرج الأئمة وكبار العلماء من الصحابة والتابعين لهم بإحسان . وهناك عشرات المراجع وكتب التراجم المتنوعة التي تترجم لمئات العلماء حَسَبَ مدنهم ومذاهبهم، وعلمهم، وحَسَبَ القرون، والتي ذكرت لنا آلاف العلماء الذين أبدعوا في مختلف فنون المعرفة وبرعوا وأجادوا وأنتجوا مئات الألوف من الكتب .

طائفة من العلماء الذين اتخذوا من المسجد داراً للتعلم والتعليم :

كان من أمثلة هؤلاء القاضي : شريح، وعمر بن عبدالعزيز، والزهري، والحسن البصري، والإمام أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، والإمام مالك وتلميذه ابن القاسم، وابن شبرمة، وعثمان البتي وابن أبي ليلى، ومكحول، وعطاء، والإمام الأوزاعي، والليث بن سعد، والشعبي، والأعمش، والقاضي عياض، وسحنون بن سعيد التنوخي، والإمام الشافعي، ويحيى بن معين، ووكيع الجراح، وإسحاق بن راهوية، والإمام أحمد، والإمام البخاري، والإمام مسلم، وابن قتيبة، والقاضي وكيع، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والإمام ابن جرير الطبري، وابن المنذر، وأبو القاسم الخرقي، والقاضي أبو يعلى، ومحمد بن أحمد

السرخسي، والإمام علي ابن سليمان الماوردي، والإمام يوسف بن عبدالبر القرطبي، وابن حـزم، وأبو إسحاق الشـيرازي، وإمام الحـرمين الجويني، وأبو حامد الغزالي، وابن عقـيل، وأبو الخطاب، وابن رشد، ومحمد ابن عبـدالله بن العـربي، والإمام عـبدالله ابن أحـمد بن قـدامة، والعـز ابن عبدالسـلام، وابن دقيق العيد، ومحـمد بن أحمد القـرطبي، وأحمد ابن ادريس، والقـرافي، وأبو إسحـاق إبراهيم بن مـوسى الشاطبي، والإمـام النووي، والإمام شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، والإمام ابن القـيم، والإمام جـمال الدين أبو مـحمـد بن عـبدالله الزيلعي، والإمـام الذهبي، وابن مفلح، وأبو الفداء إسمـاعيل بن كثير، وابن رجب، وعلي ابن سليمان المرداوي، وأمير المحدثين أحـمد بن علي بن حجر، والعيني، وعبـدُالرحمن بن علي، وابنُ خلدون، والإمـامُ السيوطـي، والكمالُ ابن الهـمام، وابنُ نجـيم، وابن النجـار، والرملي، والشـيخُ البهـوتي، وابن عابدين، وابن عرفه، وأحمد بن محمد الدردير .

هذه بعض النماذج من العلماء الأعلام الذين تخـرجوا في المساجد في مكة المكرمـة، والمدينة المنـورة، والكوفـة، والبصـرة، وبغـداد، ومـرو، والشام، ومصر، وبلاد المغرب، وهنالك الكثير، والكثير من العلماء الذين تخرجـوا في المساجد المنتشـرة في أصقاع المعمـورة هنا وهناك ولكن المقام لايتسع لذكرهم .

كوكبة من علماء العصر ممن تربوا في المساجد :

وفي العصر الحديث نجد بعض المساجد خرجت لنا كبار العلماء، وبعض الأئمة والدعاة الأفذاذ، وبعض رجال القضاء في العالم العربي والإسلامي، نكتفي هنا ببعض الأمثلة من أرض الجزيرة العربية، من أرض الحرمين الشريفين خشية الإطالة في ذكر المزيد من هؤلاء العلماء الذين تخرجوا في المساجد المنتشرة هنا وهناك في المدن العربية والإسلامية .

ومن هؤلاء العلماء الذين عرفوا في الجزيرة العربية- المملكة العربية السعودية: إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن أبنائه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن عبداللطيف، الشيخ عبدالعزيز ابن عبداللطيف، والشيخ صالح بن عبدالعزيز، والشيخ محمد ابن إبراهيم، والشيخ عبداللطيف بن إبراهيم، والشيخ عمر بن حسن ومن تلاميذه: والشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، والشيخ سعد بن حمد ابن عتيق، والشيخ سليمان بن ناصر بن سحمان، والشيخ عبدالله ابن عبدالوهاب بن زاحم، والشيخ عبدالرحمن بن سالم، والشيخ سعود ابن رشود، والشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز بن قاسم، والشيخ عبدالعزيز ابن صالح الصالح، والشيخ محمد بن عبدالمحسن الخيال، والشيخ حمود ابن عبدالله التويجري، والشيخ عبدالله بن محمد بن حميد، والشيخ عبدالرحمن بن ناصر سعدي، والشيخ صالح بن عثمان القاضي، والشيخ عبدالله بن سليم، والشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ محمد ابن عبدالعزيز المانع، والشيخ عبدالله ابن صالح الخليفي، والشيخ عبدالعزيز ابن ناصر بن رشيد، والشيخ محمد ابن إبراهيم البواردي، والشيخ صالح

ابن سليم، والشيخ حمد بن محمد الجاسر، وسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، والشيخ صالح بن غصون.

هذه بعض النماذج من العلماء الأعلام الذين تخرجوا في مساجد الدرعية والرياض، والمجمعة، وشقراء، وبريدة، وعنيزة، وحائل، فما بالك ببقية المدن، والبلاد العربية والإسلامية الأخرى، إنهم من الكثرة بحيث يصعب على المرء القيام بحصرهم. هؤلاء الذين نشروا العلم ورفعوا راية المعرفة وبذلوا جهدهم في إخراج الناس من الظلمات إلى النور فحفظ الله بهم الدين، وتحقق على أيديهم حماية الأمة من الزيغ والضلال، وأثروا المكتبة الإسلامية بالعلوم النافعة التي لايزال نفعها يعم العالم الإسلامي.

دور المسجد في بناء الشخصية الإيمانية:

لقد كان المسجد في عهد النبي ﷺ رسالة تربوية حيث إنه اهتم ببناء الشخصية الإسلامية من جميع جوانبها بناءً متكاملاً ومتوازناً، وتربى المسلم فيه تربية وجدانية، وروحية، واجتماعية، وَفْقَ تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، كان ذلك في وقت مبكر في حياة المسلم وفي كل أدوار نشأته.

فقد اهتم المسجد بتربية الأطفال، فالأطفال من سن السادسة إلى التاسعة، يمكنهم أن يتعلموا الكثير من المعايير الدينية، خاصة معايير الحلال والحرام، ويقوم التلقين بدور في تكوين أفكارهم الدينية، فيستطيعون تشربها.

ويعد المسجد المكان المناسب الذي يستطيع أن يقوم بدور التلقين للأفكار الدينية التي يتشربها الطفل، كما يمكن عن طريق المسجد توظيف سلوك الطفل توظيفاً اجتماعياً ودينياً.

لقد أصبح في كل بلد من بلاد المسلمين مساجد عديدة، وأصبحت مراكز للتعليم وبهذا الصدد يقول ول ديورانت(١): " فلم يكن الزائر إذا دخل مدينة في أي بلد من بلاد الإسلام يخالجه شك في أنه يستطيع الاستماع إلى محاضرة علمية في مسجد المدينة الأكبر في أي ساعة من ساعات النهار ".

وتقول الدكتوره زيغريد هونكه(٢): " لم تقتصر مهمة المسجد على الصلاة بل تعدته إلى أغراض الدين والمجتمع، كتعليم الأطفال، والطلاب، ومباشرة أمور القضاء".

أما الدكتور: عبدالحليم منتصر فيقول: " .. ولم تكن الحلقات العلمية بالمساجد مقصورةً على الدراسات الدينية، وإنما تعدتها إلى سواها من المعارف فقد ثبت أنه درست بالمساجد علوم اللغة، والمنطق والطب، والميقات، ويروي السيوطي أن دروساً مختلفة رتبت في الجامع الطولوني، وقد شملت التفسير والحديث والفقه على المذاهب الأربعة، والقراءات والطب والميقات. ويقول عبداللطيف البغدادي إن دروساً في الطب، كانت تلقى في الأزهر في منتصف النهار كل يوم.. ".

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، جـ ٢، مجلد ٤ الباب الثاني عشر الفصل الأول.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ط٥، ص: ٤٧٨.

وجاء في كتاب (**تاريخ الحضارة العربية والإسلامية**) إن التعليم في الإسلام قد اقترن منذ البداية بالمساجد.

ارتباط التربية الإسلامية بالمساجد :

من المتفق عليه في تاريخ التربية الإسلامية أنها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسجد، ولهذا فالحديث عن المسجد إنما هو حديث عن المكان الرئيس لنشر الثقافة الإسلامية، وقد قامت حلقات الدراسة في المسجد منذ نشأ، واستمرت كذلك على مر السنين والقرون، في مختلف البلاد الإسلامية دون انقطاع، ولعل السبب في جعل المسجد مركزاً ثقافياً هو أن الدراسات في سنى الإسلام الأولى كانت دراسات دينية تشرح تعاليم الدين الجديد وتوضح أسسه وأحكامه وأهدافه وهذه تتصل بالمسجد أوثق اتصال[1].

لقد توسع المسلمون في فهم مهمة المسجد فكان مصلى ومدرسة وجامعة وداراً للإفتاء ومنطلقاً للمجاهدين في كل العصور، وبذلك أدى المسجد دوراً خطيراً في حياة المسلمين ومايزال إلى اليوم مركزاً هاماً للوعي الإسلامي.

ولم تقف وظيفة المسجد التربوية عند هذا الحد فحسب، بل كانت أشبه بنواد أدبية تثار فيها أنواع النفائس والجدل الفكري الراقي في اللغة والأدب وقضايا الفكر والقيم الأخلاقية وأنواع العلوم المختلفة،من أجل ذلك كانت مقصداً للوعاظ والمرشدين والعلماء الذين لهم مكانتهم في فروع العلوم المتنوعة مما يرتقي به فكر الحاضرين وتتأثر به قلوبهم وعواطفهم الروحية.

---

(١) التربية الإسلامية، أحمد شلبي، ص: ١٠٢.

ولقد كانت الظاهرة الأولى من الظواهر التربوية في المسجد هي خطبة الجمعة التي تعتبر الدرس التربوي الأسبوعي للمسلمين، والتي تلقى من على منبر المدرسة الأولى للمجتمع وتلكم هي المسجد، ولأمر ما اقترن التعليم بالمساجد في نشأة الدولة الإسلامية، والمجتمع الإسلامي، تجسيداً للعلم والإيمان، وأهميتهما في بناء الفرد الصالح والمجتمع الفاضل.

المساجد جامعات إسلامية مفتوحة :

لقد استخدم المسجد للعلم فقد ارتاد مجالس المساجد العلمية الراغبون في العلم والعلماء المسلمون من جميع أنحاء الدولة الإسلامية، وكان متاحاً في مجالسها لأي شخص من المستمعين أن يسأل العالم فيما يعن له من أمور دينه ودنياه.

وقد أظهرت الدراسة في المساجد أهم خصائص التربية الإسلامية ومبادئها من السهولة واليسر وتكافؤ الفرص والحرية في التحصيل، والارتباط والانسجام بين حاجات الدين وحاجات الدنيا، والالتزام المطلق للمعلمين والمتعلمين في مناهج الدراسة وطرائقها وأوقاتها، وكان للمتعلم الحرية في أن يذهب إلى أي حلقة في المسجد، وإلى أي شيخ يأنس له ولعلمه، وإذا أتم علماً من العلوم عند شيخ من الشيوخ انتقل إلى آخر، وقد يبدأ بدراسة علم ما فيجد شيخه من خلال ما لديه من خبرة وحسن فراسة أن هذا المتعلم لايصلح لهذا العلم فينصحه أن يتخصص في علم آخر فهو أنسب له وأكثر تلبية لحاجاته وقدراته.

أشهر المساجد التي أمّها قاصدو العلم :

لقد اشتهرت مساجد وجوامع متعددة في العصور الإسلامية، كانت قبلة أنظار العلماء والمتعلمين، كان في مقدمة ذلك المسجد النبوي، والحرم المكي، ثم كثرت وفاضت بعد ذلك مساجد كان منها: جامع المنصور في بغداد، ومساجد الكوفة والبصرة، وفي الشام الجامع الأموي، وفي مصر جامع عمرو بن العاص وجامع ابن طولون، والجامع الأزهر. وانتشرت في هذه المساجد الحلقات العلمية فلم تقتصر على الحلقات المتخصصة بالدراسات الدينية واللغوية،- وإن كانت أهم مايجذب الطلاب ويعنى به العلماء المعلمون في حلقاتهم - بل تعدتها إلى سواها من معارف ذلك العصر كالطب والفلك والحساب وغيرها.

يقول عبداللطيف البغدادي - المتوفى سنة ٦٢٩هـ / ١٢٣١م - كانت سيرتي في هذه المدة أنني اقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار إلى نحو الساعة الرابعة وسط النهار، يأتي من يقرأ الطب وغيره، وآخر النهار أرجع إلى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون[١].

الحلقات العلمية في المساجد :

لقد توالى ذكر الحلقات العلمية في كتب التاريخ وتراجم الرجال، بل يكاد لا يخلو تاريخ عالم من العلماء أو شيخ من الشيوخ من الإشارة إلى حلقة له بمسجد من المساجد، وكانت تلك الحلقات منتشرة منذ العصور الأولى في المساجد الجامعة بالحجاز والشام والعراق ومصر والقيروان وقرطبة وغيرها من المناطق والممالك الإسلامية وعواصمها ومدنها، وسمي

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن ابي اصيبعة، ص: ٦٨.

الدرس حلقة، لأن الطلاب كانوا يتحلقون أي ينتظمون في شبه عقد أو حلقة حول شيخهم، وكانت الحلقة تضيق أو تتسع أو تتضاعف تبعاً لعدد الطلاب.

فهذا محمد بن سليمان أبو بكر ـ المتوفى سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م ـ كانت حلقته في مسجد عمر تدور على سبعة عشر عموداً من كثرة من يحضرها(١).

من آداب مجالس العلم بالمساجد :

لقد اهتم المربون المسلمون بمجالس الدرس في المساجد فوضعوا لها آداباً وأخلاقيات وأصولاً ينبغي أن يتبعها العالم والمتعلم، مما يخلق أجواء نقية نظيفة تسودها العلاقات الإنسانية، والقائمة على بناء جسور الثقة والمحبة بين قطبي العملية التعليمية، ومن هذه الآداب:

١ - احترام التلميذ لمعلمه.

٢ - عدم مقاطعة المعلم أثناء الدرس.

٣ - نبذ الجدل واللغط أثناء المناقشة.

رسالة المسجد الاجتماعية :

كان المسجد بوضعه الديني والثقافي من أهم العوامل التي تشيع المحبة والأخوة بين المسلمين بتلاقيهم مرات في اليوم الواحد يذكرون ربهم، ويتشاورون في أمور دينهم ودنياهم، واختفت بينهم عادات الكبرياء والأنانية، فالكل يسعى إلى مرضاة اللّه تعالى وذلك حيث يقف الجميع أمام اللّه في صفوف متراصة متساوية، وحيث يضع الجميع جباههم

---

(١) حسن المحاضرة في اختيار مصر والقاهرة، السيوطي، ص: ٤٥١.

وأنوفهم بإزاء أقدام بعضهم بعضاً دون إنكار أو تأفف.

كما كان للمسجد دوره الإيجابي مع الفقراء لكفاية المحتاجين والاهتمام بكفالة الأيتام، وإنشاء لجان الزكاة التي ساعدت على التعرف على الفقراء ومحاولة حصرهم في كل حي وبحث واقعهم وحاجاتهم ثم الوصول إليهم للتخفيف عن حاجتهم مما يعين الفقير والضعيف على مواجهة حياتهم تحقيقاً للتكافل والرحمة بين المسلم وأخيه.

وفي رحاب المسجد كان التقاضي، ففي صحيح البخاري أن كعب بن مالك تقاضى ابن أبي حدرد ديناً كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول اللّه ﷺ وهو في بيته فخرج إليهما فنادى: ياكعب. قال: لبيك يارسول اللّه. قال: ضع من دينك هذا وأومأ إليه - أي الشطر - قال: قد فعلت يا رسول اللّه، قال: قم فاقضه[1].

وفي المسجد أيضاً كانت تقسم الغنائم، فقد روى البخاري أن رسول اللّه ﷺ أتاه مال من البحرين، فقال: انثروه في المسجد، فلما قضي الصلاة جاء إليه، فما سأله أحد إلا أعطاه وما انصرف عن درهم[2].

وفيه كانت تعلق عذق النخيل ليأكل منها المحتاجون، وقد عنون البخاري لذلك في صحيحه فقال: باب تعليق القنو في المسجد.

* * * * *

---

(١) البخاري. ح: ٤٥٧، ٤٧١، ٢٤١٨، ٢٤٢٤.

(٢) البخاري، ح: ٤٢١، ٣٠٤٩، ٣١٦٥.

أسباب انحسار دور المسجد

مظاهر الانحسار :

تراجع المسجد في الوقت الحاضر تراجعاً ملموساً، ويكفي أن نزور مساجد اليوم في عالمنا العربي الإسلامي حتى نرى بشكل عام أن دور المسجد أصبح يقتصر على أداء فريضة الصلاة في مواقيتها، وإلقاء بعض الدروس الدينية الأسبوعية للنساء أحياناً وللرجال في أحيان أخرى، وقد يضاف إلى هذا الدور في بعض المساجد دور آخر، هو إقامة الاحتفال بالمناسبات الدينية كعاشوراء، والإسراء والمعراج وغيرهما، وكذا تقديم بعض الخدمات للفقراء والمحتاجين، كجمع بعض التبرعات والصدقات لمريض لا يملك ثمن الدواء، وآخر لايملك قوت يومه، أو ثالث أصيب بمكروه ويحتاج لمساعدة الآخرين، وكأن الخدمات التي يحتاجها المجتمع الإسلامي أصبحت مقتصرة فقط على مساعدة فقير أو مصاب، وتؤدي بعض المساجد في بعض البلاد الإسلامية رسالة جمع الزكاة وصرفها في مصارفها الشرعية.

ولاشك أن تطور المجتمع العربي الإسلامي، وتغيير تحركه أديا إلى إنشاء مؤسسات كانت ملحقة أو تابعة للمسجد، فالمؤسسة التعليمية كانت مسجدا في الأصل، ثم انفصلت عن المسجد وأصبحت مستقلة بذاتها ولها كيانها الخاص، وكذا المكتبات العامة كانت ملحقة بالمساجد الكبرى ثم أنشئت لها مبان خاصة، كذلك المؤسسة السياسية والمؤسسة الاجتماعية وغيرها انسلخت كلها عن المسجد وأصبحت بعيدة عن جوه وتأثيره وتوجيهاته وروحانيته، وهكذا تحول دور المسجد شيئاً فشيئاً حتى أصبح

مكاناً مخصصاً لأداء فريضة الصلاة وإلقاء المواعظ الدينية والفتاوى الشرعية. وبهذا يكون المسجد قد فقد دوره كأهم وأول مركز نشاط في أي تجمع بشري إسلامي بعد أن كان يؤدي مجموعة وظائف وخدمات دينية وسياسية وحربية واجتماعية وصحية وغيرها.

فقد كان المسجد مكاناً للعبادة تؤدى فيه الصلاة، ويقرأ القرآن، كما كان يقوم مقام مجلس الشورى اليوم، فيجتمع فيه المسلمون ويتشاورن في أمورهم خاصة قبل القيام بالغزوات، وكانت تخرج منه الجيوش وتعود إليه بعد فتوحاتها، وكان المسجد أيضاً معهداً أو مدرسة لتعليم القراءة والكتابة ثم تطور ليصبح جامعة للعلوم.

كذلك كان من صفات المسجد أنه كان مأوى للغرباء الذين لا دار لهم ولا أهل، كما كانت تجمع في المسجد الصدقات والزكاة لتوزيعها على مستحقيها، ولا ننسى أن المسجد النبوي كان مركز تدريب على فنون القتال وإعداد السلاح، كما كان يقوم أحياناً مقام المستشفيات الميدانية العسكرية عندما يحمل إليه الجرحى من المسلمين طلباً للعلاج وتضميد الجراح فقد روى في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: أصيب سعد ابن معاذ يوم الخندق في الأكحل[1] فضرب عليه رسول اللّه ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب[2]. وعلى هذا الأساس فالمسجد ضرورة دينية وضرورة سياسية واجتماعية أيضاً بالنسبة لكل مسلم على حدة وبالنسبة

---

(١) الأكحل: عرق في اليد يفصد، الصحاح (كحل) وفي القاموس المحيط (كحل) والأكحل: عرق في اليد أو هو عرق الحياة.

(٢) البخاري، ح: ٤٦٣، ٢٨١٣، ٣٩٠١، ٤١١٧، ٤١٢٢. ومسلم، ج: ١٧٦٩.

لجماعة المسلمين جملة.

أما اليوم فقد أصبحت معظم المساجد مقصورة على أداء فريضة الصلاة -كما أوضحنا من قبل - أضف إلى ذلك أن معنى الجماعة في الصلاة الجامعة لم يبق منها سوى الشكل، أما المضمون فقد غاب كما غابت معظم المعاني التي أرادها اللّٰه تعالى عندما طلب منا التعاون والتعاضد والتوحد، فأصبح المسلم فردياً في أخلاقه، فردياً في صفاته، فردياً في عمله، فردياً في تطلعاته، ونسى أن يد اللّٰه مع الجماعة.

نتائج انحسار دور المسجد :

هكذا أصبح بالإمكان الانقضاض على المسلمين عندما تفرقوا وأصبحوا فرادى وآحاداً - وإن كثر عددهم - ؛ لأن قلوبهم شتى فلا يؤبه لهم. والأهم والأخطر من ذلك مايلي:

١ - انتشار التطرف الديني بين الشباب في بعض البلدان الإسلامية، حيث أصبحوا - لغياب دور المسجد في تنشئتهم وتوجيههم - فريسة لغرس الأفكار المتطرفة بينهم.

٢ - انفصال سلوك المسلم عن عبادته، حيث أدى أنحسار دور المسجد في أداء الصلوات بداخله إلى غياب الوعي الديني لدى عامة المسلمين، بحيث أصبح الكثير منهم يظن أن الدين محصور في أداء الأركان الخمسة له دون ما علاقة للدين بالنشاط اليومي للمسلم.

وقد ذكر بعض الباحثين[1] أسباب انحسار دور المسجد في وقتنا

---

(١) المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي، علي عبدالحليم محمود، القاهرة، ط١٣٩٦هـ، ص: ٩٠

الحاضر وأجملها في أربع نقاط رئيسة هي:

١ - ضعف الكثير من المسلمين في تمسكهم بدينهم.

٢ - انخداع بعض المسلمين بزخرف الحياة في المجتمعات غير الإسلامية.

٣ - البدع والشوائب التي انتشرت لجهل المسلمين بدينهم.

٤ -التغيب المتعمد لدور المسجد من جانب بعض الحكام في بعض البلاد الإسلامية، فمن المسجد كانت تخرج الثورات ضد ظلم الولاة وجور الأمراء والحكام، ومن المسجد كانت تنطلق شرارة الحركات الإصلاحية، ومن المسجد كان يخشى الأمراء والحكام المستبدون، وحتى لا يعلو صوت المسجد فقد عَمَدَ بعض الحكام في بعض البلاد الإسلامية إلى تغييب دور المسجد في حياة الأمة الإسلامية، وقد سلكوا طرقاً وأساليب عديدة منها:

أ - منع الوقف الخيري على المساجد أو على الأقل تهميش دوره.

ب - حصول أئمة المساجد والخطباء على رواتبهم من خزانة الدولة أدى ببعضهم إلى السكوت عن قول كلمة الحق.

جـ - فصل الخطباء والأئمة الذين ينطقون بكلمة الحق.

د- منع غير المعينين من جهة الدولة من إلقاء الدروس العامة أو الإفتاء لجمهور المصلين داخل المسجد.

هـ ـ إغلاق مكتبات المساجد، وعدم السماح بفتح حلقات تحفيظ القرآن الكريم فيها.

ونفصل القول على النحو التالي :

١ - ضعف الكثير من المسلمين لعدم تمسكهم بدينهم :

وحقيقة فإن هذا الضعف قد تسرب إلى المجتمع الإسلامي منذ زمن بعيد عندما بدأ المسلمون يفرطون في أمور الدين ولا يأخذونها مأخذ الجد والاهتمام والعناية، وعانى المسلمون من ابتعادهم عن التمسك بما جاء به الرسول ﷺ أسوأ ماتعانيه أمة ضلت طريقها، واتبعت السبل فتفرقت بها عن سبيل اللّه وعن صراطه المستقيم.

ومن ثم فقد بدأ التحلل يأخذ طريقه إلى القيم الإسلامية، كما ضعف التعليم في المساجد، ونأى المعلمون بأنفسهم عن التعليم، وخلت المساجد من المكتبات ومن الكتب النافعة، وأغلقت إلا في أوقات الصلاة فابتعدت الرعية عن بيوت اللّه، وتباعدت المسافة بين أعمالهم وسلوكهم، وبين روح المسجد وأدبه، فصارت الصلاة عندهم عادة وتقليداً، خالية من الروح الحقيقية للعبادة، وأصبح المسجد في حياتهم شيئاً غير ذي بال، يتثاقلون في الذهاب إليه عند كل آذان، يخطفون صلاتهم التي أصبحت نقراً كنقر الديوك.

هذا الضعف الذي اعترى الأمة الإسلامية منشؤه إهمال المسلمين دينهم وتفريطهم في أمره ؛ لأن العناية بالمسجد تأتي ممن يهمهم أمر دينهم، أما إهمال المسجد والبعد عنه فنتيجة طبيعية للإبتعاد عن الدين وإهمال أمره.

ولقد اقترن إهمال المسلمين لمساجدهم وضعف تمسكهم بدينهم بوقوع المسلمين فريسة لشهواتهم وملذاتهم ؛ لأنهم تجاهلوا مانادى به الإسلام من ضرورة الاعتدلال والقصد في الأخذ بالدنيا، حتى لايصبح المرء عبداً لشهواته وملذاته. نعم لقد كان ماحدث من ضعف الواقع الديني نتيجة

طبيعيـة لما آل إليه الحال من هوان وتهاون بما أمر به المسلمـون واستحفظوا عليه من رسالة، ذلك أن المسجد بما فـيه من ذكر اللَّه وعبادته، وبما له من تأثيـر في نفوس المسلـمين بما يخاطبـهم به من عظات وتوجـيهـات، هو العاصم الطبيعي للمسلم من أن تستبد به شهواته أو تشتط به غرائزة.

ولكن حينمـا تخـلى كثيرون عن فـقه رسالة المسجد أو ضعف عند بعضـهم الوعي بوظيفـة المسجد وآدابه ظهـر الفسـاد في البر والبـحر بما كسبـت أيدي النـاس، وانتشرت الخبـائث وظهر اجتراء الكثـير من الناس على الموبقات. وأصبـحت مظاهـر الضياع واقعاً مؤلماً، وشـاهداً مؤسفاً، ونذيراً صادقاً يدعونا إلى أن نستمع بوعي عميـق وفهم بصير إلى قول اللَّه تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَـيًّا﴾ [مريم، الآية: ٥٩] لقـد كان مما يؤسف له هذا الفـتور في تناول الدين والأخذ بأحكامه، والعمل بأوامـره ونواهيه، مخالف لما أمرت به الآية الكريمة، في قوله عز وجل: ﴿... خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف، الآيـة:١٧١] وهنا يجـدر بنا أن نتأمل الآية تأملاً جيـداً وواعيـاً، إن الآية تأمرنا في قوله تعالى: ﴿خُذُوا﴾، ثم تأمـرنا من جـديد بالقوة فـي التلقي والأخـذ والعمل حين يقـول تعـالى ﴿بِقُوَّةٍ﴾، ثم يأتي الأمر الثالث في الآية في قوله عز وجل: ﴿اذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾. أليس كل هذا التنـاوب بهذا الأسلوب الأمـر الحاسـم، دعـوة إلى الاستـمسـاك والحـرص البـالـغ، حتى لانضـعـف أو ننسى أو نتـخاذل. والآية بهذا الفهم دعوة ونداء ومنهج لهـؤلاء الذين يريدون الخير والارتقاء لأنفسهم ومجتمعهم.

٢ - انخداع بعض المسلمين بزخرف الحياة في المجتمعات غير الإسلامية :

عندما كان المسلمون متمسكين بدينهم، أقوياء العقيدة، لم يضرهم اتصالهم بأبناء المجتمعات غير الإسلامية والاطلاع على طريقة حياتهم، بل إنهم كانوا يأخذون منها مايتفق مع الإسلام، ويتركون مايختلف مع ماجاء في كتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ.

كانت تلك معايير تعامل المسلمين مع ماوجدوه عند غيرهم حينما كان المسلمون يأخذون بمنهج الإسلام وأخلاقه وآدابه، فلما اعترى المسلمون الضعف لتراخيهم في الالتزام بأوامر الدين، تغير موقفهم فكرياً وعقدياً وحضارياً، ويكفي لإثبات صحة مانقول أن نأخذ مظهراً واحداً من مظاهر التأثير السيء لغير المسلمين على أفكار المسلمين ومساجدهم.

فعندما نجحت الصليبية في احتلال أراضي المسلمين وجدت الفرصة سانحة للتنفيس عن أحقادها على الإسلام باعتباره القوة الوحيدة التي بها يستعيد المسلمون سابق مكانتهم ويردون بها كيد أعداء اللَّه إلى نحورهم، فالصليبيون لايخشون المسلمين وإنما يخشون الإسلام ذاته، وإن الحرب التي أعلنوها على الإسلام منذ الحروب الصليبية وحتى الآن إنما هي حرب بين ثقافات وحضارات، ذلك أنهم يدركون جيداً أن ثقافات الإسلام هي الغالبة، والكفار يدركون ذلك جيداً منذ الوليد بن المغيرة وحتى اليوم، فالوليد بن المغيرة ذهب لكي يثني رسول اللَّه عن مواصلة تبليغ رسالة ربه إلى الناس قائلاً له: ياابن أخي إن كنت تريد بهذا الأمر ملكاً ملكناك علينا، وإن كنت تريد به مالاً جمعنا لك من أموالنا ماتشاء حتى تكون

أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد جاهاً سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك، وتكلم الوليد بحديث المادة وحديث الدنيا وزخارفها، ولما فرغ من عروضه التي لاتملك حضارات الكفر غيرها، قرأ عليه سيدنا رسول اللّه ﷺ بضع آيات من أول سورة فصلت: ﴿حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ وظل الرسول يقرأ والوليد سكت، ويتغير وجهه مع كل آية يقرأها رسول اللّه ﷺ وما استطاع أن يكرر عرضه على رسول اللّه، ثم أتى قومه قائلاً لهم: لقد سمعت كلاماً ماهو بقول بشر، إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولايعلى عليه، لقد كانت هذه الآيات عصا محمد التي إلتقفت كل عروض الوليد كما التقفت عصا موسى ماكان يأفك سحرة فرعون.

وأهل الكفر في كل زمان ومكان يعلمون جيداً أن الثقافة الإسلامية يمكنها القضاء على ثقافتهم وأيدلوجياتهم، ونراهم اليوم يصوبون كافة أسلحتهم لطمس الهوية الإسلامية، بل واقتلاعها من نفوس المسلمين، وغرس الثقافات العلمانية والإلحادية مكان الثقافة الإسلامية، وياللأسف فإن المسلمين لضعفهم المادي مفتونون ببريق الثقافات والأيدلوجيات غير الإسلامية، وعلى علماء الأمة الإسلامية عبء كبير في التصدي للثقافات غير الإسلامية، ذلك أن أولئك المستعمرين لايكلون ولايملون من العمل على إبعاد المسلمين عن دينهم، وتشويه حقائقه، والطعن في رسولهم الكريم وصحابته الأبرار - رضوان اللّه عليهم - ولقد اتخذوا وسائل كثيرة تعينهم على تحقيق أهدافهم الشريرة منها: مدارس التنصير، ومعاهد

الاستشـراق، ونوادي الماسونية والصهيونـية، ولهم في كل حين جديد من الوسائل الـتي يجب ألا تغيب عنا أو تخـفى عن بصيـرتنا خاصـة بعد أن تقدموا وامتلكوا الكثير من المخترعات ووسائل الاتصالات.

لقد أدرك غير المسلـمين أهمية المسجد، ولهذا فقـد أجمع أعداؤنا على حربه واتبعوا لذلك وسـائل شتى منها إيجاد مؤسسات اسـتعمارية بديلة، فأنشأوا مدارس وملاجئ ونواد ومشـافي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فلمظهرها الخارجي بريق خداع يجـذب من المسلمين أصحاب الحاجات أو السذج الغافلين، ذلك أن حـقيقة تلك المؤسـسات والهدف الذي من أجله أنشئت إنما هو التنصيـر وإخراج الناس من دين الحق، وذلك أن هدف من أوجدوا تلك المؤسسات هو أن تسلب أو تسرق من المسجد رسالته وإنه لمن المؤسف أن نعترف بأنهم أفلحوا إلى حد لايستهان به، وتحقيق ذلك الهدف ظهر واضحاً في إفريقيا المسلمة، كـما ظهر في بعض أقطارنا العربية حينما تناسى بعض الناس رسـالة المسجد ومـهمتـه، ولقد حاولوا القـضاء على التعليم الإسـلامي، فحرمت المساجـد العنصر البشري من أئـمة ووعاظ، وحاربوا العاملين فـي تلك المؤسسة بالوسائل الإعلامـية التي تحت أيديهم من صـحف ومجـلات ومسـارح تسخـر منهم وتستـهزىء بهم، وتشـوه صورتـهم أمام أبناء وطنهم، فـهانت في أعين عـامة المسلمين صـورة أهل العلم ونفروا الناس منهم. أضف إلى ذلك أن وسائل الإعلام الموجهة دائبة الحركة في تفـخيم وتلميع أدعيـاء العلم الجهال بقصد الـوقوع في محظور الإفتاء بغير علم حتى ينتشر الضلال بين المسلمين، نعوذ باللّه من ذلك.

٣ - البدع والشوائب التي انتشرت لجهل المسلمين بدينهم :

كانت البدع والشوائب التي علقت بالعبادة في المساجد نتيجة جهل المسلمين من الأسباب التي حالت بين المسجد وبين أداء وظيفته، على الوجه الأكمل. لقد كانت البدع والخرافات والمخالفات التي اتصلت بالمسجد - زوراً وبهتاناً - من أقوى الأسباب التي أدخلت بالمسجد التحريف والتشويه على الدين وعباداته، وهو ما جعل للغلو والباطل شيوعاً كبيراً، صرف الكثيرين عن الحق، واتسعت به دائرة الجهل وأتعبت العلماء المنصفين مقاومته وبيان خطورته، ولقد أدى ذلك كله إلى معوقات كثيرة انصرف بسببها الناس عن حضور صلاة الجماعة في المسجد ونذكر من بين تلك المعوقات ما يأتي:

١ - إطالة بعض الأئمة في تلاوة القرآن، وبعضهم يتأخر في إقامة الصلاة مما يجعل الكثير من الناس - وبخاصة الذين لهم ارتباط بعمل ومشاغل كثيرة - يختارون الصلاة في بيوتهم أو مكاتبهم الخاصة، وبالتالي الحرمان من أجر صلاة الجماعة.

٢ - بعض الأئمة فيهم جفاء وغلظة في تعاملهم مع المصلين مع انطوائية ظاهرة للعيان، وهذا يؤدي إلى نفور المصلين منهم وعدم الصلاة خلفهم، حتى لو كان عند أحد من المصلين مسألة معينة أو مشكلة أو أي شيء يريد فيه فتوى أو توضيح، يتردد ألف مرة قبل أن يناقش الإمام فيها. لذلك ينبغي اختيار الأئمة الأكْفَاء علمياً وخلقياً، حيث ينبغي للإمام أن يكون متواضعاً: (من تواضع للّه رفعه)[1]، وأن يكون

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٧٦، وأبو نعيم في الحليه ٧/ ١٢٩، ٨/ ٤٦ .

مبتسماً: (تبسمك في وجه أخيك صدقة)[1]، يشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم ويسهم في حل مشكلاتهم ومساعدتهم.

٣ - بعض الأئمة لايتقنون تلاوة القرآن، وأصواتهم أثناء التلاوة خالية من الخشوع، بالإضافة إلى وقوعهم في أخطاء كثيرة أثناء التلاوة في الصلاة، ويتكرر هذا منهم في كل صلاة مما ينفر جموع المصلين منهم ويدعوهم إلى البحث عن مسجد آخر، أو ترك صلاة الجماعة والاكتفاء بالصلاة داخل البيت.

٤ - وجود خطباء غير أكفاء من حيث الإلقاء، واللغة، واختيار الموضوعات التي يطرحها الواحد منهم أثناء الخطبة فقد يتحدث عن موضوعات مكررة وقديمة لا تواكب العصر وهذا بطبيعة الحال ينفر الناس لأن هناك علاقة لا يمكن تجاهلها بين الخطبة والأحداث العابرة والملابسات المحيطة والجماهير السامعة، ومما يزرى بالخطيب ويؤدي إلى ضياع موعظته أن يكون في واد، والناس والزمان والمكان في واد آخر، وحسناً لو علم الخطيب أنه كالطبيب ينبغي له أن يشخص الداء ويضع له الدواء بأن يختار موضوعه مما توحى به أحداث مجتمعه وأن يعيش غير بعيد عن أحداث عالمه عرضاً أو نقداً .

ولأمر ما نزل القرآن منجماً في ثلاث وعشرين سنة. فقد تجاوب مع الأحداث وأصاب مواقع التوجيه إصابة رائعة.

ولما كان القرآن شفاء للعلل الاجتماعية الشائعة، فإن الخطيب يجب عليه أن يشخص الداء الذي يواجهه، وأن يتعرف على حقيقته بدقة، فإذا

---

(١) أخرجه الترمذي ح (١٩٥٦)، وقال حسن غريب .

عرفه واستبان أعراضه وأخطاره رجع إلى الكتاب والسنة فنقل الدواء إلى موضع المرض، وذلك يحتاج إلى بصيرة وحذق، فإن الواعظ القاصر قد يجيء بدواء غير مناسب فلا يوفق في العلاج، وربما أخطأ ابتداء في تحديد العلة فجاءت خطبته لغوا، وإن كانت تتضمن مختلف النصوص الصحيحة

وبعض الخطباء يطيلون وقت الخطبة، فيظن الخطيب أن بحسبه أن يقول ما عنده، وعلى الناس أن ينصتوا طوعاً أو كرهاً، وهذا خطأ لأن الإطالة فيها تنفير وملل لجموع المصلين، والكلام الكثير يُنسي بعضه بعضاً، وقد تضيع أهم أهدافه في زحام الإطناب والإفاضة.

ومن الأفضل أن تكون خطبة الجمعة حول موضوع واحد واضح غير متشعب الأطراف ولامتعدد القضايا، فإن الخطيب الذي يخوض في أحاديث كثيرة يشتت الأذهان وينتقل بالسامعين في أودية تتخللّها فجوات نفسية وفكرية بعيدة، ومهما كانت عباراته بليغة ومهما كان مسترسلاً متدفقاً فإنه لن ينجح في تكوين صورة عقلية واضحة الملامح لما اختاره من موضوع أو في عرضه لقيمة دينية خاصة.

٥ - بعض المساجد ضيقة جداً لاتستوعب جموع المصلين من أهل الحي، وبعضها غير معتنى به من حيث النظافة وتجديد الفرش، وبعضها خال من أماكن الوضوء ودورات المياه، أو إنها موجودة لكنها غير نظيفة، وتحتاج إلى صيانة وترميم.

٦ - موقع المسجد مهم في تشجيع الناس على أداء الصلاة جماعة فيجب اختيار المواقع المناسبة لإقامة المساجد بحيث تكون قريبة من مساكن الناس حتى يتمكن الكبير والصغير والضعيف من أداء الصلاة في جماعة في يسر وسهولة.

أوجه الإصلاح ووسائله المقترحة

الدعوة إلى إحياء دور المسجد ثانية:

لابد أن يعـود المسجد لـيكون ملتقى المسلمين، في كل الأوقـات التي تستـوجب وحدة الصف ووحدة الكلمـة، وهذه الأوقات كثـيرة في أيامنا الحاضـرة، إضافة إلى ذلك فإن المسـجد يجب أن يكون مركـزاً للنشاطات الاجتمـاعية في المنطقة التـي يقع فيها، فيكـثر التردد على المسجـد ويعتاد الناس على ذلك، خاصة الشبابَ منهم، الذين بعدوا عنه أو كادوا يبعدون ويجرون وراء مـراكز اللَّهو " والدشات "، وغـيرها من الأماكن المخـالفة لشـرع اللَّه، فيـبـعدون بذلـك عن إقامـة الصـلاة التي هي ركن الدين، ويتهاونون في تركها وترك غيرها من الشعائر الدينية.

لذا علينا أن نشـغل المسـجد ليس في أوقـات الصلاة أو لأداء الصـلاة فقط، بـل يكون ذلك معظم اليـوم في النهار وفي الليل، وهكذا يـصبح المسجد خـلية اجتماعـية دائمة النشاط والحـركة، لاتخلو من مجـموعات الشبـاب العامل المؤمن بدوره، هذه الخلية الاجـتماعـية تخرج أفـواجاً من المسلمين يؤمنون بـاللَّه تعالى رباً وبـالإسلام ديناً وبمحـمـد - ﷺ - نبيـاً ورسولاً، وبوحـدة الصف والكلمـة شعـاراً، عندئذ لايمكن أن ينال منهم أحد، ولايمكن أن يخـترق صفوفهم أي عـابث بحقوق المسلمين أو مـعتد عليهم، أو متطاول على كرامتهم، فـهم كالبنيان المرصوص إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمـاية والرعاية والنجدة والمساعدة، فكما أن رصَّ الصفوف واجب في صـلاة الجماعة كـذلك يكون رصَّ الصفوف واجباً خارج الصلاة، في العمل اليومي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي

وغيره، ومن ادعى أن العمل ليس عباده وأن اللّٰه تعالى لايدعونا إلى العمل البنَّاء المثمر، لخدمة عباده نقول له: ألم يخاطبنا رب العالمين - دائماً - بصيغة الجمع ؟ ألم يحثنا رسول اللّٰه محمد ﷺ على الوحدة والاتحاد وأن لا نكون كالقاصية من الغنم التي تغري الذئاب وتفتح شهيتها للفتك بنا والانقضاض علينا ؟ لو أخلصنا النيات ووحدنا الجهود لتخليص المسجد من تلك السلبيات -التي ذكرناها سابقاً - وأزلنا الأسباب التي تقعد بالمساجد عن أداء دورها لصلح أمر المجتمع ولاستطاعت هذه المساجد العريقة أن تسهم بالنصيب الأوفى في نشر العلم والمعرفة بعودة الحلقات العلمية، ومحاربة الجريمة، والوقاية من الزلل والانحراف.

أسانيد الدعوة إلى إحياء دور المسجد:

لعلنا نرى هذا الدور المنشود أكبر من أن تحدده الألفاظ ولعل السطور التالية توضح أهم قسماته:

أولاً : تقوية الجانب الديني في نفوس الناس بما يتلقونه من وعظ وإرشاد وتوجيه يعصمهم من الوقوع في المعاصي، ويجعلهم من عناصر الخير في المجتمع.

ثانياً : ارتباط المصلين بالمسجد يدفع المصلين إلى الابتعاد عن الفحشاء والمنكر والبغي وسائر الموبقات، فالصلاة تنشيء الاتحاد والمحبة والإخاء بين المسلمين، وتجعل منهم كتلة متراصة، لأنهم عندما يجتمعون ويقنتون لربهم ويركعون له ويسجدون معاً تأتلف قلوبهم، وينشأ فيهم الشعور بأنهم إخوة فيما بينهم، ثم إن الصلاة في جماعة تدربهم وتربيهم على النظام والانضباط والمحافظة على الأوقات،

فتراهم جميعاً غنيهم وفقيرهم، وكبيرهم وصغيرهم، وأعلاهم وأدناهم، يقومون جنباً إلى جنب في صفوف متلاحمة، لافرق بين قوي وضعيف ولابين رفيع ووضيع.

ثالثاً : الخشوع للَّه الذي يحس به المسلم في صلاته، ويدفعه إلى البعد عن الإنحراف، فضلاً عن ارتكاب الجرائم، وذلك لما تفعله الصلاة بالإنسان من تطهير نفسه، والارتقاء بروحه، وإصلاح أخلاقه وأعماله.

رابعاً : كما أن المساجد التي تهيئ لروادها التزود بشعور التضامن والأخوة الناشيء من اجتماعهم للصلاة في الجمع والجماعات والأعياد، توجد في هؤلاء المصلين الرغبة في معاونة بعضهم بعضاً، وتنزع من أفئدتهم الرغبة في اعتداء بعضهم على بعض بأي نوع من أنواع الاعتداء.

أهم الوسائل التي يمكن إحياء دور المسجد عن طريقها:

أولاً: اختيار الخطباء والدعاة وإعدادهم الإعداد الجيد، لأن الداعية له تأثير كبير في نفوس الناس وقلوبهم، فيجب على الخطباء والدعاة أن يكونوا ملمين بالعلوم اللغوية، وعلوم الشريعة والتفسير والحديث، وعلوم التربية، وعلم النفس وعلم الاجتماع، إلى غير ذلك من العلوم التي تسهم في إعدادهم إعداداً متكاملاً وشاملاً.

وعلى الخطباء أن يكونوا على دراية بالمذاهب الفكرية، والملل والتيارات السياسية الموجهة والمؤثرة في العالم، مع الإلمام بطرف من علوم الحياة والكون والاقتصاد والفلسفة، ولكي يتوفر لنا هذا الأنموذج فلابد من

إعداده إعداداً خاصاً يحفظ له مظهره وكرامته وتقدير شخصيته ومكانته مع توفير سبل الحيـاة الكريمة له، وإذن فليكن الإمام ممن عرف بحسن الخلق، وسلامـة السلوك، والتدين الواعي، والشخـصية القـائدة المؤثرة، لينعكس ذلك على عطائه وأدائه، بالإضافـة إلى حسن مظهره ولباسه، كـما ينبغي التوسـيع على الأئمـة والدعاة في أرزاقـهم بما يمكنهم من الظهور بالمـظهر اللائق الذي يدعو إلى الاحتـرام والتوقير، لأن عامـة الناس وشبابهم على وجه الخصـوص تخدعهم المظاهر عن الحقائق، ويتـأثرون بالمظهر والصورة عن الجـوهر والمخبـر. وكـذلك بناء مسكن خـاص بالإمـام المكلف بأداء الصلوات الخمس ومنزل للمؤذن والخادم.

ثانياً: الاعتناء بحلقـات العلم كما كانت من قبـل، وذلك في المساجد الكبيرة الجامعة حتى نعيد للمـسجد وظيفة كانت في الماضي موضع التقدير والإكبار، ويصبح المسجد منارة دين وعلم وفكر.

وحتى يؤدي المسجد دورا يخدم حاجة عصـرنا ومجتمعنا فإنه ينبغي أن نعرف أن هناك صعوبات تواجه بعض الطلاب في دراسة وفهم بعض المواد العلمية كـالرياضيات والكيمـياء والفيزياء وخلاف ذلك، فـيجب أن ندعو بعض أهل الخير من المعلمين الأكفاء في كل حي بتـخصيص جزء من وقته يقوم فـيه بتـدريس بعض المواد لشبـاب الحي، وذلك بعقـد فصـول تقوية للطلاب تعـقد في المساجـد الكبيـرة لتعليـمهم وتقويتـهم في هذه المواد، خـاصة في المرحلة الثـانوية والمتـوسطة، وأحسب أن هذا العـمل سيـربط الشباب بالمساجد ويعودهم على صلاة الجماعة.

ثالثاً: إلحاق بعض الخدمات الاجتماعية بالمساجد، كأن يلحق به مستشفى خيري لعلاج الفقراء، ودار لرعاية الطفل اليتيم، ودار لتعليم الحرف والصناعات اليدوية الصغيرة لأبناء الفقراء من أهل الحي، ودار للمناسبات، وسيارات إسعاف ونقل موتى إلى غير ذلك من الخدمات الاجتماعية التي تجعل الناس أكثر ارتباطاً بالمسجد حيث لايمكنهم الاستغناء عنه، ويحتاج هذا إلى مزيد من الإيضاح على النحو التالي:

أن تلحق بالمساجد الكبيرة روضة قرآن وظيفتها تلقي الأطفال منذ الرابعة من العمر، لتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة عن طريق تلقين قصار السور مع التدرج بهم في مبادئ القراءة والكتابة عن طريق كتب نموذجية توضع بوساطة مختصين في تعليم الأطفال، على أن يتولى التدريس فيها قراء مهرة لهم مؤهلات في حفظ القرآن الكريم وتجويده، وبجانبهم المعلمون الآخرون، فإن الطفل الذي يقضي عامين كاملين في هذا النوع من رياض القرآن يكون أهلاً للالتحاق بالمعاهد الدينية والجامعات الإسلامية وإذا اتجه إلى التعلم المدني كانت معه حصيلة جيدة من القرآن، مع اعتياد لسانه على إتقان مخارج الحروف والأداء السليم لتلاوة القرآن الكريم.

ولقد حرص الإسلام على رعاية الأطفال رعاية منقطعة النظير، إيماناً بأن الأطفال رجال المستقبل، وعدة الغد، فلا يجوز تركهم مشردين في الأزقة محرومين من نعمة المسجد الذي هو بيت اللّه، وعش المؤمن ومدرسته العملية، والطفل إذا شب على شيء شاب عليه.

لقد كان الأطفال يأتون المسجد في عهد رسول اللّه ﷺ يرعى شؤونهم ويتلطف بهم، كما كان يخفف من الصلاة إذا سمع بكاء طفل.

أما اليوم فترى معاملة أهل المسجد للأطفال قاسية للغاية ظناً منهم أن هذا يخدم المسجد ليكون نظيفاً، معتمدين في ذلك على حديث يتردد على ألسنتهم وهو: (جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم) فظنوا أنه حديث صحيح، لكن هذا الحديث ضعيف حيث ضعفه ابن الجوزي والمنذري والهيثمي والحافظ بن حجر العسقلاني، وقال الإشبيلي: لاأصل له[(١)]، حتى لو فرض صحته مع أنه ضعيف لايدل على منع الأطفال نهائياً بل المراد الأطفال الذين يعرضون المسجد للنجاسة (وهم من دون سن التمييز).

وقد أدت هذه الظاهرة إلى هجر الأطفال للمساجد وذهابهم إلى أماكن اللّهو، فيجب علينا إزالة هذه الظاهرة الجافة، وذلك بتفهيم الناس أن النبي ﷺ لم يمنع الأطفال من المساجد، بل تلطف معهم حتى حدث أن النبي ﷺ نزل من فوق المنبر أثناء الخطبة لما رأى الحسن والحسين، وقبلهما ثم عاد إلى خطبته، وبالجملة نحن نريد أن يكون وضع المسجد مجالاً يشجع الناس على كل المستويات لا ينفرهم من الذهاب إليه.

رابعاً : بناء قاعة للمحاضرات في الجوامع الكبيرة أو بالقرب منها، لاستخدامها للأغراض الاجتماعية، وإقامة محاضرات وندوات دورية لعامة الناس ترتبط مواعيدها بأوقات الصلاة، على أن تكون منهجية وشاملة لجميع أنواع الثقافة، فترشد الناس علمياً وصحياً ونفسياً، وتعاون في حل مشكلات الأسرة والمجتمع، وأن يشارك فيها المتخصصون في كل المجالات التي تهم الناس، مع اختيار الموضوع الذي يتناسب مع الحضور، من حيث ثقافتهم وأعمارهم وقدراتهم الفعلية.

---

(١) صفة صلاة النبي، للألباني، جـ: ٥، ص: ٩٨.

خامساً: تزويد المساجد بالمكتبات التي تساعد الباحثين والدارسين على الاطلاع عليها والاستفادة منها. وتزويدها بمرور الزمن بعدد من المراجع الإسلامية في العلوم المختلفة، لربط الطلاب في كافة المراحل بالمسجد.

وهذا الأمر ليس بجديد فقد تحدثت كتب التاريخ والتراجم عن الكثير من العلماء والأدباء والفقهاء الذين اتخذوا من المساجد أمكنة يتزودون منها بالعلوم ويدرسون ويدّرسون في آن واحد، ويؤلفون كتبهم أو ينسخونها، وأدى وجود طلاب العلم والمعرفة والمؤلفين والكتاب والنساخ إلى تأسيس مكتبات في المساجد تودع فيها الكتب المختلفة، التي تأتي عن طريق التبرع بمفهومها الحاضر، وكان بعض المؤلفين يؤلفون كتبهم ويضعونها في المسجد كوقف من أجل تعميم الفائدة بين الناس. وبهذا استطاع أولئك المؤلفون المحافظة على كتبهم بإيداعها بمبنى المسجد.

ومن بين المساجد التي ألحقت بها مكتبات المسجد الجامع بالكوفة، الذي زخرت مكتبته بنوادر المخطوطات، وكثرة كتب التاريخ والأدب، واستطاع اسحاق بن مرار الشيباني وهو من اللغويين الكوفيين أن يجمع أشعار نيف وثمانين قبيلة أخرجها في مجلد وجعلها في مسجد الكوفة. واشتهر مسجد الكوفة بكونه مدرسة للقرآن الكريم، وكان أبو عبدالله السلمي (وعبدالله بن حبيب) أول من جلس لإقراء القرآن في مسجد الكوفة وعليه أخذ كثير من القراء الكبار، وفيه ظهرت مدرسة لتفسير القرآن وكان من أساتذتها سعيد بن جبير الذي استشهد سنة ٩٤هـ، ومن بين الأمور الثقافية التي كانت تقام في المسجد إنشاد الشعر ونقده والمناظرات في علوم العربية.

وقد ضمت مكتبة الحرم المكي مخطوطات نفيسة في مختلف فروع المعرفة، والمراجع العديدة حتى باتت مقصداً لأساتذة وطلبة الكليات والمعاهد والمدارس الذين كانوا يجدون في ثروتها الفكرية مقصدهم في شتى العلوم والآداب، وهي تستقبل زوارها صباحاً ومساءً. وكذلك الأمر بالنسبة للمسجد النبوي الشريف فقد زود بمكتبة غنية بالمخطوطات والكتب النادرة في مختلف فنون المعرفة. ومكتبة الأزهر التي ضمت نحو مائة ألف مجلد في مختلف الفنون، منها خمسة وعشرون ألف مخطوط.

أما جامع الزيتونة في تونس فقد أنشأ أبو زكريا الحفصي مكتبة فيه ضمت نحو أربعين ألف مخطوطة.

وفي الجزائر كانت مكتبة الجامع الكبير، ومكتبة جامع الحكمة في مراكش، ومكتبة جامع النجف في العراق، ومكتبة الجامع الأعظم في مكناس، ومكتبة جامع القرويين في مدينة فاس.

وذكرت الموسوعة العربية الميسرة(١) أن جامع القرويين أنشئ عام ٨٥٩هـ، في مدينة فاس، وقد تبرعت بالمال السيدة فاطمة محمد بن عبدالله الفهري القيرواني.. وتقرر جعله جامعة وكانت لجامعة القرويين مكتبة مشهورة تشتمل على عدد كبير من المخطوطات النادرة، ولكن أكثرها ضاع ولم يبق فيها اليوم سوى ١٦١٣ مخطوطة.

وجاء في الموسوعة الفلسطينية : خزانةُ المسجد الأقصى في القدس تحوى كتباً دينية مخطوطة قدر عددها بألف مخطوط، وفي الجزائر نحو عشرة آلاف كتاب.

---

(١) ط ٢، ص: ٦٠ .

وقد تـأسست مكتـبات عـديدة في جامع المنصـور في بغداد وجـوامع قرطبة وطليطلة في الأندلس، ومكتبة العزيزية والكمالية في المسجد الجامع بمرو وغيرها من المساجد.

عناية الأمراء والسلاطين بمكتبات المساجد :

كان الخلفاء والأمراء والسلاطين والتجـار والأعيان يتنافسون على تقديم الكتب ووقفها على المساجد تبـرعاً وطلباً للثواب. وفي هذا يذكر المقريزي في خططه أن الحـاكم بأمـر اللّه أمـر بنقل نصف الكتب التي كـانت بدار الحكمة إلى الجامـع الأزهر والباقي إلى مسجده. وكـان الهدف من تزويد الجـامع الأزهر بـالكتب هو إعطاء الطـلاب الفـرصـة الكافـيـة للاطلاع والاستزادة، خاصة وأن عدد طلاب الجامع الأزهر في تزايد مستمر.

ويذكر غوسـتاف لوبون في كتابه (حضـارة العرب) أن الجامع الأزهر كان يضم ثلاثمائة أستاذ وأكثر من عـشرة آلاف طالب يقصدونه من جميع أنحاء العالم الإسلامي.

وهكذا عرف المسجد في جميع العصور الإسلامية - ومنذ القرن الأول الهـجـري - بأنه مـحط رحـال العلمـاء والأدباء والطلاب ورجـال الفكر والثقافـة، مع ما يستلزم ذلك من تخصـيص بعض أقسام المسجـد وأروقته ليكون مكتبة تضم المصـادر والمراجع والمخطوطات والكتب والمصنفات على اختلاف أنواعها وهي تعين أولئك العلماء على الدراسة وإعداد الموضوعات أو ما نسميهاالآن المحاضرات التي كانت تلقى على طلبة العلم والمعرفة.

سادساً: قد يكون من الخـير إلحـاق بعض العيادات الطبـية بالمسـاجد الكبرى، تقدم بالمجان خدماتها للضعفـاء والفقراء وأصحاب الفجاءة، كما

تقدمها بأجور رمزية لمتوسطي الدخل.

إذا فعلنا هذا أسهمنا بأسلوب عملي في عودة الروابط الإيجابية والإنسانية الحميمة والبارة بين المسجد والمجتمع، وفتحنا بهذا باباً حقيقياً من أبواب الخير للأغنياء وأهل البر - وما أكثرهم - يدفعون إليه زكواتهم، ويصرفون إليه صدقاتهم في إخلاص وتجرد، وفتحنا كذلك باباً كريماً لأهل العفاف والكفاف وذوي الفجاءة - وما أكثرهم - يجدون في رحابه سد عوزهم، وعلاج مرضاهم، وحفظ كرامتهم، وصون عفافهم، وأعدنا في النهاية للمسجد بعض دوره الحضاري الذي كان عليه في سالف عهده.

فالمسجد مركز صحي ودار للعلاج منذ عهد النبي ﷺ فقد بنى الرسول ﷺ أول مستشفى حربي في الإسلام في مسجده النبوي الشريف بالمدينة المنورة حيث أمر بإقامة خيمة تديرها الطبيبة الجراحة رفيدة الأسلمية لتعالج وتضمد جرح الصحابي الجليل سعد بن معاذ ومن أصيب بغزوة الخندق.

ولقد أقيمت مراكز إسعاف وعيادات طبية في بعض المساجد لمعالجة من يصاب بوعكة أو بإصابة مرضية من المصلين وهم في المسجد فهاكم أحمد بن طولون ألحق بمسجده الذي أقامه بالقاهرة مركز إسعاف للمرضى، وفي هذا الصدد يقول الدكتور: مصطفى السباعي: " وهناك محطات كانت تقام بالقرب من الجوامع "(١)، ويحدثنا المقريزي أن ابن طولون حين بنى جامعه الشهير في مصر عمل في مؤخرة ميضأة وخزانة شراب " أي صيدلية أدوية " وفيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدم، وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لمعالجة من يصابون بالأمراض من المصلين .

---

(١) من روائع حضارتنا، ط٢، ص: ١٤.

ويقول الدكتور: أحمد عيسى بك في كتابه[1]: «وعمل أحمد بن طولون في مؤخرة جامعة ميضأة وخزانة شراب، فيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة».

سابعاً: ربط الأنشطة الثقافية والاجتماعية، والاقتصادية وغيرها بالمساجد فتكون المساجد أماكن تربية وتوجيه، وتثقيف وإرشاد، وتكون مؤسسات اجتماعية للمناسبات المختلفة في حياة الناس، وتكون جمعيات تعاونية وجمعيات بر وإحسان ورعاية اجتماعية، وتكون أماكن لفض المنازعات وإصلاح ذات البين، والاجتماع للصلح بين المتخاصمين والمتنازعين، وفي الصلح قضاء على كثير من الجرائم بل وعلى التفكير فيها.

ثامناً: الشباب يعشق الرياضة بشكل عام، وكرة القدم بشكل خاص فما الذي يمنع من بناء المساجد في الأندية والملاعب الرياضية وإيقاف المباريات أثناء الآذان لإقامة الصلاة، واستغلال المناسبات الرياضية في توجيه الشباب إلى الخير، وحثهم على التمسك بتعاليم دينهم، ونشر الفضيلة وتحذيرهم من الوقوع في المعاصي، والابتعاد عن أماكن اللّهو.

إن التقاء شباب كل حي في ظلال المسجد يؤدي إلى الألفة والمحبة ويبدد ظلام المخاصمة والعداء، لقد كان المسجد النبوي الشريف وساحته مكاناً للتدريب والرياضة، فقد ثبت في الأحاديث النبوية الشريفة، أن الحبشيين كانوا يلعبون بالحراب يوم عيد، وقد كان الصحابة يعدون في

---

(١) تاريخ البيمار ستانات في الإسلام، ص: ٧٢.

بعض الأحيـان السهام في المسـجد النبوي الشـريف، فعن عبـدالعزيز بن عبـداللّه قال: حـدثنا إبراهيم بن سـعد ابن سعد ابن صـالح عن ابن شهـاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أن عائشـة رضي اللّه عنها قالت: لقد رأيت رسول اللّه ﷺ يوماً على باب حجـرتي والحبشة يلعبون في المسـجد ورسول اللّه ﷺ يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم[1]. زاد إبراهيم بن المنذر:

حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن شهاب عن عروة عن عائشة قالت: رأيت النبي ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم[2].

وعن موسى بن إسماعيل قال: حـدثنا عبدالواحد قال: حدثنا أبو ردة ابن عبداللّه قال سـمعت أبا ردة عن أبيه عن النبي ﷺ: **«من مرّ في شيء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ على نصالها لايعقر بكفه مسلماً»**[3].

المسجد وموائد الرحمن :

من المعلوم أن الصوم أحد أركان الإسلام التي كتبها اللّه علينا في شهر رمضان، وأحد القربات الفريدة التي ندبنا إليها - في غير رمضان - رسول اللّه ﷺ، وفي كـثير من الأحـيان يكون بعض الـصائمين خارج بيـوتهم وأعمالهم، أو في الطريق إليها وقت الإفطار، ويحـتاجون إلى أن يضيفوا إلى شرف الصوم شـرف التعجيل بالفطر وقت الغـروب، فإذا وجدوا في ساحة المسجد مايجمع لهم بين شرف الصـلاة وشرف التعجيل بالفطر فيما تعارفنا عليه بما يسمى " موائد الرحمن " - كان هذا أسلوباً خالصاً وكريماً

(١) البخاري، ح: ٤٥٤.

(٢) رواه البخاري في باب أصحاب الحراب في المسجد، ح: ٤٥٥.

(٣) رواه البخاري، ح: ٤٥٢، ٧٠٧٥.

يجد فيه أهل الخير والبر رغبـتهم وأجرهم، ويجد فيه أبناء السبيل فطرهم وحاجتهم وصونهم، إذ إن تقديم الطعام في شهر رمضان للصائمين، وفي يومي الاثنين والخمـيس من كل أسبوع، حيث إن الكثيـر من الناس يصوم تطوعـاً في هذه الأيام، وفي هذا تشـجيع لهم -خـاصـةً الفقـراء - على مداومـة الصوم حيث يلتـقي المسلم بأخيه المسلم على مـائدة واحدة، وفي هذا نوع من الألفة والتواد والتراحم.

لقد كانت المساجـد فيما مضى تقدم الطعام للجائع، حـيث تعلق فيها عناقيد النخيل لإطعام الفقراء[1].

وإذا تيسر وضع الطعام خارج المسجد فهذ أفضل من باب المحافظة على نظافة المسجد، وإلا فلا مانع من وضـعه في المسجد لما في ذلك من الأجر الكبير، بشرط أن لايلوث المسجد بالفـضلات والنفايات، وتنظيف المسجد بعد ذلك، وإزالة بقايا الأكل وماتساقط منه.

مجالس الخير في المسجد :

يتعين تشكيل لجان من المصلين القريبين من المسجد، وتكون مهمة هذه اللجان التشاور مع الخطيب أو الإمام فـي كل شؤون المسجد، بحيث تمدها وزارة الشؤون الإسـلامية بما يعـينها على أداء مهـمتهـا، كتزويدها بغـرفة مكتب كاملة لعقد الاجتماعات.

وقد يكون من مهام هذه اللجان جـمع الزكوات والصدقات من المزكين والمنفقين، وتوزيعـها على مستـحقيهـا من الفقراء والمساكين وغـيرهم من

(١) باب تعليق القنو في المسجـد، صحيح البخاري، الجـزء الأول، كتاب الصلاة، باب القـسمة وتعليق القنو في المسجد.

مصارف الزكاة، فقد كان يجمع في المسجد بعض زكاة الفطر وزكاة المال وبعض الأموال التي كانت ترد من الأقاليم والغنائم وتوزع على مستحقيها، ويمكن إيجاد صندوق مالي يُدْعَمُ من أهل البذل والعطاء تكون مهمته رعاية المحتاجين والعناية بمتطلبات المسجد.

وتقوم هذه اللجان أيضاً بعقد لقاءات للتعارف بين سكان الحي الذي يقع فيه المسجد ؛ لأن في هذا التعارف الخيرُ الكثيرُ الذي منه التآلف والمحبة والتوادد وزيادة الروابط فيما بينهم، ومعرفة المريض منهم ليعودوه ومعرفة الغائب ليسألوا عنه، ويلتمسوا حاجة المحتاج فيمدوا له يد المساعده، والشفاعة لمن أراد الشفاعة.

وتنظيم اللقاءات الدورية والزيارات الأخوية في المنازل، والإشراف على المناسبات العامة، وإعداد فقراتها وبرامجها كالأعياد والأفراح ونحوها، وغير ذلك من أنشطة وأعمال توفق فيما بين المسلم وأخيه، وتربط بين المسلمين برباط الحب والإخاء والتعاون.

كما يمكن لهذه اللجان انتقاء بعض شباب الدعوة وتكليفهم بإلقاء الكلمات الوعظية في المساجد الأخرى. بالإضافة إلى إهداء الشريط الإسلامي النافع والكتيب الإسلامي المفيد لرواد المسجد ولأبناء المسلمين.

وبذلك يعتاد شباب الدعوة على العطاء الفكري، والبذل الاجتماعي، منذ مطلع شبابهم، فيرتبطون بمجتمعهم برباط الحب الذي يؤلف بينهم.

وحبذا لو قامت لجان المسجد أيضاً بتوجيه الدعوة للعلماء والدعاة والمشايخ لإلقاء الدروس والمحاضرات، وعقد الندوات والإجابة عن التساؤلات.

إننا بذلك نتعاون في إيجاد المجتمع الذي ينهض كل فرد فيه بما يسهم في نمو مجتمعه، والارتقاء بأهله وأبناء حيه، وتقديم الخدمات التي يحتاجون إليها.

المساجد وفقه المرأة:

لقد أصبحت المرأة في أمس الحاجة إلى معرفة مايتعلق بأحوالها من أحكام فقهية، ويعد المسجد من أنسب الأماكن لتعليم فقه المرأة، وذلك بتخصيص مكان مناسب ليكون مصلى للنساء، وإن كانت صلاتهن في البيوت أفضل، ولكن ربما كان في ذلك نفع إذا رغبن في حضور الدروس والمحاضرات والندوات.

ذلك أن الإسلام لم يهمل المرأة، أو يقلل من شأنها، أو يغمط من حقها وكرامتها، لقد عنى بها وحياها وأكرمها، وكان عليه الصلاة والسلام يعظ النساء في المسجد، ويعلمهن وكن يحضرن دروسه وخطبه، بل إنه جعل لهن يوماً من أيام الأسبوع.

أما في مجال العبادة وارتياد المسجد فلم يتناس الإسلام المرأة فكانت النساء يأتين في الصفوف الأخيرة من المسجد، ليحضرن الصلاة وهن متحجبات، وغير متطيبات، ولا فاتنات ولا مفتونات، ثم ينصرفن قبيل انصراف الناس من المسجد.

ومن هنا فعلى المسلمين أن يوجدوا مكاناً مناسباً ليكون مصلى للنساء، ليحضرن الصلاة، وليسمعن الخطب، والمحاضرات والدروس العلمية وأن تكون هذه الأماكن مستقلة وخاصة بالنساء، ولها باب خاص يبعدهن عن مزاحمة الرجال في الدخول والخروج.

ففي المساجد تتلقى الأم المسلمة تربيتهـا الإسلامية الحقة، وتذهب عنها الأمية ويـزول عنها الجهل والانحراف العـقدي ويهذب سلوكهـا، وتعرف مالها من حقوق وماعليهـا من واجبات تجاه ربها، وتجاه زوجها وأولادها، إلا أن هناك بعض الملاحظات التي ينبغي مراعاتها ومنها:

١ - على المرأة المسلمة ألا تتطيب وتتـعطر إذا قصدت المسجـد، فهذا أمر منهي عنه لما فيه من الفتنة.

٢ - عليـهـا أن لا تـزاحم الرجـال فـإن ذلك سـبب للفـتنة وطريق للمعصية. وعليها أن لاتأتي إلـى المسجد إلا مع محرم، فإن بعض النساء تأتي ومعها سائق، والخلوة بالأجنبي محرمة فتكون قد حرصت على نافلة وارتكبت محرماً.

٣ - على المرأة المسلمة إذا حضرت إلى المسجد ألا تنشغل بالحديث مع أخـواتها، والسـلام عليـهن، ففي ذلك صـرف القلوب عن الذكـر وقطع للخشوع، وتشويش على الناس. والوقوع في النميمة والغيبة.

٤ - عليها أن لا تحضـر الأطفال الصغار دون سن التميـيز إلى المسجد لأن هذا ربما يـؤدي إلـى تلطيخ المسـجـد بالنجـاسـات، وإيذاء المصلين والتشويش عليهـم.

المسجد الحرام

فضل المسجد الحرام ومكانته:

إن اللَّه سبحانه وتعالى هو المنفرد بالخلق والأمر والإختيار والإصطفاء، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص، الآية: ٦٨].

ومن حكمته وعلمه وقدرته إختياره سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد خيرها وأشرفها وهي البلد الحرام، فاختارها لنبيه - ﷺ - وأوجب على عباده الإتيان إليها من كل فج عميق، وألزمهم أن يدخلوها خاشعين متذللين خاضعين كاشفي رؤوسهم متجردين عن لباس أهل الدنيا.

فليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي والطواف فيها غيرها، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا فيه غير الحجر الأسود والركن اليماني. وليس على وجه الأرض قبله غيرها، وفضائلها أنها خير أرض الله وأحبها إليه، فعن عبدالله ابن عدي بن الحمراء أنه سمع رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته ينظر إلى مكة يقول: «**والله إنك لخيرُ أرضِ الله وأحب أرض الله إلى الله، ولو لا أني أُخرِجتُ منك ما خرجتُ**»[1].

ومن فضائلها أنه يحرم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر البقاع لما ورد في الحديث المتفق عليه قوله -ﷺ-: «**لاتستقبلوا القبلة بغائط ولابول ولاتستدبروها ولكن شرقوا أو غربوا**».

---

(١) رواه أحمد ٤/ ٣٠٥، والترمذي (٣٩٢١)، وابن ماجه (٣١٠٨).

ومما يدل على حرمتها ماجاء في المعاقبة على الهم بالسيئة فيها وإن لم تُفعل، لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٥)﴾ [الحج، الآية: ٢٥].

والإلحاد هنا: هو الميل والحيد عن دين اللّه سواء كان ذلك بالشرك باللّه أو الكفر به أو فعل شيء مما حرمه اللّه أو ترك شيء مما أوجبه اللّه، فكيف الحال بمن يمارس الموبقات والمحرمات كمن يتعامل بالربا أو يشرب الخمر أو يروج المخدرات أو ينشر وسائل الإفساد واللّهو كبيع الأشرطة الماجنة والدخان وغيرها، أليس هذا من انتهاك حرمة اللّه في المكان والزمان فالذنب يعظم والعقوبة تشتد إذا كانت تلك المحرمات تفعل بالبلد الحرام ويجب على ولاة الأمر الأخذ على أيدي أولئك تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)﴾ [الحج، الآية: ٢٦]

ومن فضائلها أنه لايدخلها الدجال، قال-ﷺ-ليس من بلد إلاسيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة[1] فالملائكة تحرسها من أن يدخلها الدجال.

لقد جعل اللّه البيت الحرام مثابة للناس وأمناً أي مرجعاً يثوبون إليه من كل جانب، وموضعاً ذا أمن يؤمنون فيه من أذى المشركين قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة، الآية: ١٢٥].

وحكم سبحانه لمن دخله بالأمن قال تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران، الآية: ٩٧]، وحرم الشارع المساس بمظاهر الحياة من شجر وحيوان وإنسان، فانطلقت مبادئ وحقوق الإنسان قبل أن يعرف عالم

---

(١) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، جـ ٤، ص: ٩٥.

اليوم حقوق الإنسان بل وانطلقت مع حقوق الإنسان حقوق الشجر والحيوان فكان المسجد الحرام رمزاً مجسداً للأمن والإيمان والسلام والإسلام الشامل للحياة بمن فيها وما فيها.

ويمثل المسجد الحرام مكانة سامية في نفوس المسلمين قاطبة لأنه أول بيت وضع للناس ولأنه قبلة للمسلمين بعد ما أمر رسول اللّه - ﷺ - بالاتجاه في الصلاة إلى الكعبة بدلاً من الاتجاه إلى بيت المقدس يقول اللّه سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)﴾ [البقرة، الآية: ١٤٤].

ويقوم البيت العتيق بهذا المسجد الذي يحج إليه المسلمون من كل مكان منذ أن بنى إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم، قال تعالى ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧)﴾ [البقرة، الآية: ١٢٧].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة، الآية: ١٢٥].

ويقول جل شأنه: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ [الحج، الآية: ٢٧، ٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران، الآية: ٩٦، ٩٧].

المسجد الحرام والتوحيد :

بني بيت اللّه العتيق للتوحيد، وأرسل اللّه المصطفى - ﷺ - هداية ورحمة للعالمين فطهر اللّه به جزيرة العرب من رجس الوثنية والأصنام، ودخل مكة فاتحاً وشارك بيده الكريمة بتطهير المسجد الحرام من الأصنام وهو يقرأ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)﴾ [الإسراء، الآية: ٨١].

وكان عددها ستين وثلاثمائة، فحارب الشرك لأنه مقتضى الإيمان باللّه هو الكفر بالطاغوت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل، الآية: ٣٦].

فقضية التوحيد وإفراد اللّه بالعبادة، هي القضية الكبرى التي دعا إليها جميع الأنبياء وقدموها للناس واضحة سهلة يسيره قال تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف، الآية: ٥٩].

فالبيت الحرام لم يبن للشرك والبدع والخرافة والتبرك والإستعانة بغير اللّه، بل أمر اللّه نبيه إبراهيم عليه السلام أن يؤسس البيت العتيق على التوحيد ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لاَّ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦)﴾ [الحج، الآية: ٢٦].

فالرب واحد لاشريك له والقبلة واحدة يستقبلها المسلمون في الصلاة، ولأن البيت رمز التـوحيد كان لابد من تحريم دخول كل مـشرك ومنعه من ذلك في الدنيا، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة، الآية: ٢٨] وهو محروم من دخول الجنة في الآخرة. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة، الآية: ٧٢].

وقد بعث ﷺ أبا بكر الصديق في العام الـتاسع للحج، فبعث أبا بكر أبو هريرة ينادي في الناس يوم النحر (لايحج بعـد العام مشرك ولايطوف في البيت عريان)، رواه الـبخاري ومسلم. فالمسلم يعلم علـماً يقيناً حين يطوف بالبيت ويقبل الحجـر الأسود أن النافع الضار، المعطي المانع هو اللَّه وحده لا شريك له، قـال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس، الآية: ١٠٧].

وصف المسجد الحرام:

البيت الحـرام. أول بيت وضع للناس ورفع على قـديم الأساس. بنى مثالاً للبيت المعمور ودعى إليه كل مأمور. وآذن إبراهيم صلوات اللَّه عليه إليـه بالحج ودعا الناس إليـه فأتوه من كل فج. ولم تزل شـعائره مكـرمة ومشـاعره محـرمة. عظيم في الجاهلـية والإسلام وحـرم من حيث بنيت الأعلام. وهو البيت المحجوج المحجوب والمقصود بالزيادة قصد الوجوب. وبه الحجـر الأسود الذي هو يمين اللَّه في أرضه. والشـاهد لمن حج وقبله

بأداء فرضه. بسماء الدعاء وحرم تحريم الدماء يأمن به الحمام ساكناً. ومن دخله كان آمناً.

وقد كان المسـجد الحرام - المحيط بالكعبة - فناء لهـا وفضاء للطائفين ولم يكن له على عـهد رسـول اللّه - ﷺ - وأبي بكر جدار يحـيط به. فألصق الناس دورهم بالكعبة وكـانت الدور محدقة بها وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية.

فلما استـخلف عمر رضي اللّه عنه - وكثـر الناس - قال: لابد لبيت اللّه من فناء وإنكم دخلتم عليه ولم يدخل عليكم فوسع المـسجد واشترى تلك الدور وهدمها وزادها في المســجد واتخذ للمسجد جـداراً قصيراً دون القامة. وكان عمر أول من اتخذ الجدار للمسجد الحرام.

يقول الآزرقي:

ثم كثـر الناس في زمن عثـمان فوسع المـسجد واشتـرى من قوم وأبى آخرون أن يبيعـوا فهدم عليهم فصحوا به فدعـاهم فقال: إنما جرأكم علي حلمي عنكم. فقد فـعل بكم عمر هذا فلم يصح به أحد فـاحتذيت على مثاله فصيحتم بي ثم أمر بهم إلى الحبس حتى كُلم فيهم فتركهم.

كمـا زاد في المسجـد عبـداللّه بن الزبير إذ اشـترى دوراً وأدخلهـا في المسجد.

كمـا عمـر المسجـد كل من: عبـدالملك بن مروان وابنه الوليـد وبقى المسجد الحرام على حـاله إلى أن تولى أبو جعفر المنصور الخلافـة فزاد فيه من الشمال إذ اشترى من الناس دورهم اللاصقة بالمسجد.

كما زاد فيه المهـدي العباسي عندما حج في سنة ١٦٠هـ إذ أمر أن يزاد في أعلاه ويشترى ماكان في ذلك الموضع من الدور.

ولما حج في سنة ١٦٤هـ ورأى الكعبـة في شق من المسجد الحـرام كره ذلك وأحب أن تكون متوسطة في المسـجد فأحضر المهندسين واسـتشارهم في ذلك.

وبالرغم من حذر المهندسين مـن تحويل الوادي عن مساره الطبـيعي إلا أن المهدي صمم على التوسعة وتمكن بالفـعل من توسعة المسجد الحرام مرة أخرى فاشترى الدور المجاورة للمسجد وأدخلها فيها.

وقد بقي المسـجد الحـرام على حاله منذ عهـد المهدي إلى أن زاد فـيه الخليفة المعـتضد العبـاسي كما هدمت دار الندوة في عهـده أيضاً وجعلت مسجداً مجاوراً للمسجد الحرام إلى أن أدمجت فيما بعد بالمسجد الحرام.

كما أن الخليفة العباسي "المقتدر" قد زاد في المسجد الحرام الزيادة التي تسمى (زيادة باب إبـراهيم)، وبعد زيادة المقتـدر لم تحصل في المسـجد الحرام أية زيـادة حتى العـهد السعـودي اللّهم إلا العمـارة والتجـديد التي تعرض لها المسجد الحرام التي قام بهـا خلفاء العباسيين وسلاطين المماليك والعثمانيين في فترات متعاقبة.

النشاط العلمي للمسجد الحرام:

يعتـبر المسجـد الحرام من أكبر دور العـلم التي يتلقى فيهـا العديد من الناس - على اختلاف ألوانهم ومشاربهم - مختلف العلوم. خاصة العلوم الشرعية. ذلك أن المسجـد الحرام لايخلو من الرواد على مدار العام حيث

الكعبة المشرفة قبلة المسلمين. كما يحج إلى هذا البيت في كل عام فأم من الناس ليؤدوا مناسك الحج والعمرة وليمتثلوا قول اللَّه تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج، الآية: ٢٧].

ولهذا كان له دور قيادي بارز في نشر العلم والمعرفة نظراً لكثرة طلاب العلم الوافدين إليه من مختلف الأمصار الإسلامية أولاً. ولرغبة العديد من العلماء في القيام بالتدريس في هذا المسجد ونشر علومهم فيه ثانياً. إذ يضم هذا المسجد أجناس مختلفة من البشر.

ولقد استمر هذا المسجد في أداء رسالته العلمية على هذا المنوال على خير وجه حتى يومنا هذا.

أبرز علماء المسجد الحرام:

أبرزهم وأولهم:

١ - الصحابي الجليل: معاذ بن جبل: وذلك أن النبي - ﷺ - بعد أن تمكن من فتح مكة خلف فيها معاذ بن جبل عندما توجه إلى حنين، وذلك لكي يفقه أهلها ويعلمهم الحلال والحرام ويقرئهم القرآن.

٢ - الصحابي الجليل: عبداللَّه بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن.

٣ - مجاهد بن جبر.

٤ - عطاء بن أبي رباح.

٥ - طاووس بن كيسان.

٦ - سعيد بن جبير.

٧ - عكرمة مولى ابن عباس.

٨ - عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج.

٩ - سفيان بن عيينة.

وقد استمرت في المسجد الحرام حلقات العلم تعقد منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا حيث يحفل المسجد بالعديد من الحلقات التي تتميز في غالبيتها في الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها العديد من الناس والخاصة بالفتيا حيث يجلس العديد من رجال العلم في المسجد للإجابة على تلك التساؤلات الخاصة بالأمور الدينية والاجتماعية.

وتزداد هذه الحلقات كثرة في موسم الحج وفي رمضان المبارك حيث يكثر زوار بيت اللّه الحرام في هذه المواسم.

الدور السياسي للمسجد الحرام:

ولم يقتصر دور المسجد الحرام على أداء الشعائر الدينية أوالحج أو تعليم الناس مايهمهم من أمور دينهم ودنياهم، بل نرى بأن هذا المسجد قد قام بأدوار سياسية في أوقات متعاقبة يحسن الإشارة إلى البعض منها.

فعندما فتحت مكة في السنة الثامنة للّهجرة النبوية على يد رسول اللّه - ﷺ - قام - ﷺ - خطيباً على باب الكعبة فقال:

(لا إله إلا اللّه وحده لاشريك له. صدق وغده ونصر عبده واعز جنده. وهزم الأحزاب وحده ألا كل مأثره أو دم فهو موضوع تحت قدمي هاتين إلا سدانه البيت وسقاية الحاج). إلى آخر هذه الخطبة.

وهذا عبدالملك بن مروان يقف خطيباً في المسجد الحرام موضحاً سياسته وأبو جعفر المنصور عندما قدم مكة يقف هو الآخر خطيباً في المسجد الحرام موضحاً سياسته.

ولما استتم الأمر لبني العباس خطب داود بن علي بمكة معلنا أيضاً عن سياسة العباسيين وهكذا كان (لبيت اللّه الحرام) الدور الأساس الهام في سياسة الدولة الإسلامية على مر العصور[1].

وإليك ماجاء في آخر (رسالة المسجد في الإسلام من الزيادات التي مر بها المسجد الحرام :

(١) العقد الفريد، بلوغ الأماني، الفتح الرباني، السيرة لابن كثير، سير أعلام النبلاء، الطبقات الكبرى، تاريخ عمارة المسجد الحرام، أخبار مكة.

الزيادات التي مر بها المسجد الحرام

لم يكن للمسجد الحرام سور يحيط به قبل عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي اللّٰه عنه، ذلك أن دور قريش كانت محدقة بالمسجد من كل جانب، غير أن بين الدور أبواب يدخل منها الناس إليه، فلما ضاق المسجد قال عمر: لابد لبيت اللّٰه من فناء ، فاشترى الدور المجاورة للمسجد فهدمها، وهدم على من قرب من المسجد، فأبى البعض أن يأخذ الثمن، وتمنع من البيع، فوضعت أثمانها في خزانة الكعبة حتى أخذوها بعده، ثم أحاط عليه جداراً قصيراً، وقال لهم عمر: إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها، ولم تنزل الكعبة عليكم[1].

وبهذا يعتبر عمر رضي اللّٰه عنه أول من أحاط المسجد الحرام بسور، حيث لم يكن له سور قبل عهده، وربما يكون السبب في تلك التوسعة إلى ماتعرض له المسجد الحرام عندما وقع سيل عظيم أدى إلى اقتلاع مقام إبراهيم عليه السلام، ورماه خارج مكة، إذ يقول القطبي: "في سنة ١٧هـ وقع سيل عظيم يسمى سيل أم نهشل (*)، فدخل المسجد واقتلع مقام إبراهيم من موضعه وذهب به إلى أسفل مكة، وغيَّر مكانه، وذهب بأم نهشل فماتت فيه، فكتب إلى عمر وهو بالمدينة، فهاله، وركب فزعاً مروعاً إلى مكة، فدخلها في شهر رمضان، ووقف على حجر المقام وهو ملصق بالبيت الشريف، ثم قال: أنشد اللّٰه عبداً عنده علم في هذا المقام؟. فقال المطلب بن أبي وداعة السهمي: أنا يا أمير المؤمنين، قد كنت

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة، جـ ٢، ص ص: ٦٨ - ٦٩.

(*) أم نهشل: هي بنت عبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية، حيث ماتت في هذا الحادث.

أخشى عليه مثل هذا الأمر، فأخذت قدره من موضعه إلى الحجر، ومن موضعه إلى زمزم بمقاط، وهو عندي في البيت، فقال له: إجلس وأرسل من يأتي به نقيس به، ووضع حجر المقام في هذا المحل " يعني الذي هو الآن، وأحكم واستمر فيه إلى الآن"[1].

فمن المحتمل أن يكون حضور الخليفة عمر إلى مكة لمعالجة وضع مقام إبراهيم عليه السلام عندما جرفه السيل، وإعادته إلى مكانه الطبيعي هو السبب في تلك التوسعة عندما لمس الحاجة إلى توسعته على أثر كثرة الناس، ولهذا قرر زيادته بأن اشترى الدور الملاصقة للحرم، وهدمها وإدخالها في المسجد، وإحاطته بسور لحمايته من عبث الناس. أما في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي اللّه عنه، فقد زاد في المسجد الحرام سنة ٢٦هـ عندما كثر ضيوف الرحمن من الوافدين إلى هذا المكان الطاهر للحج أو العمرة، على أثر الفتوحات الإسلامية، إذ اشترى الدور المجاورة للمسجد وهدمها وأدخلها فيه، عندها ضج أصحاب الدور احتجاجاً على هدمها، فدعاهم وقال لهم: إنما جرأكم علي حلمي عليكم، ألم يفعل بكم ذلك عمر رضي اللّه عنه، فما صاح به أحد، وقد حذوت حذوه، فضجرتم مني وصحتم، ثم أمر بهم إلى الحبس، فشفع فيهم عبداللّه بن خالد بن أسيد فتركهم[2].

ويشير البعض إلى أن عثمان رضي اللّه عنه هو أول من اتخذ الأروقة للمسجد الحرام، كما جدد أنصاب الحرم.

---

(١) إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، القطبي، ص: ٦٧.

(٢) الأزرقي، أخابر مكة، جـ ٢، ص: ٦٩.

أما الزيادة الثالثة فقد تمت في عهد عبداللّه بن الزبير إذ يقول الأزرقي: «زاد ابن الزبير في المسجد الحرام، واشترى دوراً من الناس وأدخلها في المسجد»[1]. هذا بالإضافة إلى هدم الكعبة وبنائها من جديد في عهد ابن الزبير أيضاً. وقد حدد البعض الجهات التي زيدت في زمن ابن الزبير إذ يقول: « زاد ابن الزبير في المسجد الحرام زيادة كبيرة من الجهة الشرقية والجنوبية والشمالية، وذلك بعد أن أكمل عمارة الكعبة المشرفة خلال سنتي ٦٤، ٦٥هـ »[2].

أما في عهد الوليد بن عبدالملك فقد أمر بتوسعة المسجد الحرام بالإضافة إلى نقض عمل أبيه عبدالملك، وعمره عمارة متينة محكمة، وهو أول من أتى بالأساطين الرخام من مصر والشام ونقلها من هناك إلى مكة، وسقفه بالخشب الساج المزخرف، وجعل على رؤوس الأساطين صفائح الذهب، وأزَّر داخل المسجد الحرام بالرخام، وجعل له شرفات، وجعل في حائطه العقود، ويبدو أن أساطين الرخام التي جاء بها الوليد كانت على قدر زيادته في توسيع المسجد الحرام، وكان رواقاً واحداً دائراً على حافة المسجد الحرام حول الكعبة، وكانت زيادة الوليد من الجهة الشرقية حيث تم ذلك في سنة ٩١هـ[3].

وقد بقي المسجد الحرام على حاله دون زيادة حتى عهد الخليفة العباسي " أبي جعفر المنصور " الذي أمر عامله بالزيادة في المسجد، إذ زاد فيه في

---

(١) نفس المصدر والجزء، ص: ٦٩.

(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ص: ١٧ - ١٨.

(٣) تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص ص: ٢٣ - ٢٤.

شقة الشامي مما يلي دار الندوة، كما زاد في أسفله إلى أن انتهى إلى المنارة التي في ركن باب بني سهم، أما الجانب الجنوبي فلم يزد فيه شيئاً لاتصاله بمسيل الوادي، وصعوبة البناء فيه، وعدم ثباته إذا قوي السيل، وقد اشترى من الناس دورهم فهدمها وأدخلها في المسجد، وقد تم ذلك فيما بين سنتي ١٣٧ - ١٤٠هـ إذ يقول الأزرقي:

"كتب على باب المسجد الذي يمر منه سيل المسجد وهو سيل باب بني جمح، وهو آخر عمل أبي جعفر من تلك الناحية، وهو قائم إلى اليوم[١] ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم * محمد رسول اللّه أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾، ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً. . . . إلى قوله: غني عن العالمين﴾ أمر عبداللّه أمير المؤمنين أكرمه اللّه بتوسعة المسجد الحرام وعمارته والزيادة فيه نظراً منه للمسلمين، واهتماماً بأمورهم، وكان الذي زاد فيه الضعف مما كان عليه قبل، وأمر ببنيانه وتوسعته في المحرم سنة ١٣٧هـ، وفرغ منه ورفعت الأيدي عنه في ذي الحجة سنة ١٤٠هـ، بتيسير أمر اللّه، بأمر أمير المؤمنين ومعونة منه له عليه، وكفاية منه له وكرامة أكرمه اللّه بها، فأعظم اللّه أجر أمير المؤمنين فيما نوى من توسعة المسجد الحرام، وأحسن ثوابه عليه، فجمع اللّه تعالى له به خير الدنيا والآخرة، وأعز نصره وأيده»[٢].

(١) كان هذا في زمن المؤلف الذي عاش فترة في القرنين الثاني والثالث الهجريين.

(٢) أخبار مكة، جـ ٢، ص ص: ٧٣ - ٧٤.

أما في عهد المهدي: فقد زاد في المسجد مرتين :

الأولى: عندما حج في سنة ١٦٠هـ ولاحظ ضيق المسجد بالمصلين، فأمر بتوسعته واشترى الدور الملاصقة له، وتمت الزيادة في الجهتين الشرقية والشمالية.

الثانية: تمت عندما حج في سنة ١٦٤هـ إذ رأى أن الكعبة ليست في وسط المسجد الحرام، إذ كانت قريبة من الطرف الجنوبي للمسجد، عندها قرر توسعة المسجد من هذا الجانب لتكون الكعبة في وسطه.

وبالرغم من صعوبة هذا العمل الذي أقدم عليه المهدي حيث كانت العقبات الطبيعية تعترض توسعة المسجد من تلك الناحية حيث مجرى مسيل وادي إبراهيم مما يتطلب تحويل مجرى السيل " كما أشار إلى ذلك المهندسون " الذين شرحوا للخليفة صعوبة تحويل مجرى السيل، مع كثرة النفقات، بالإضافة إلى هدم العديد من البيوت، لكن المهدي صمم على ما أقدم عليه إذ يقول البعض في هذا :

"لما حج المهدي في سنة ١٦٤هـ، وشاهد الكعبة ليست في وسط المسجد بل في جانب منه، ورأى المسجد قد ضاق من الجانب اليماني، ذلك أن تربيع المسجد ليس مستوياً، فجمع المهندسين وقال: أريد أن أزيد في الجانب اليماني من المسجد لتكون الكعبة في وسط المسجد، فقالوا له: لايمكن ذلك إلا بهدم البيوت التي على حافة المسيل، مع زيادة المئونة والتكلفة، فقال: لابد أن أزيد ولو أنفقت جميع أموال بيت المال، فصمم على ذلك، وعظمت نيته، واشتدت رغبته حتى بلغ ما أمل، ولكنه توفى قبل إكمال البناء، فلما تولى ابنه الهادي الخلافة كان أول عملاً نفذه هو

الأمر بإكمال بناء المسجد الحرام"[1].

وفي عهد الخليفة المعتضد العباسي أدمجت دار الندوة بالمسجد الحرام حيث كانت عمارتها الأولى عبارة عن مسجد مستقل ثم أصبحت بعد هذا الإدماج جزءاً من المسجد الحرام، وهي لاتزال كذلك إلى العصر الحاضر[2]. وقد تم ذلك فيما بين سنتي ٢٨١ - ٢٨٤هـ.

أما في عهد الخليفة المقتدر العباسي فقد تمت الزيادة التي سميت فيما بعد "زيادة باب إبراهيم الخياط" وذلك سنة ٣٠٦هـ إذ شملت تلك الزيادة دارين للسيدة زبيدة أدخلت مساحتهما في المسجد الحرام بعد هدمهما.

وقد ظل المسجد الحرام منذ عهد الخليفة المقتدر على ماهو عليه بدون زيادة حتى العهد السعودي الذي شهد أكبر توسعة مر بها المسجد الحرام. حيث مر المسجد الحرام بعدد من التوسعات يحسن أن أشير إليها إشارة عابرة.

فمع تزايد أعداد المسلمين القادمين من شتى بقاع الأرض لأداء مناسك الحج والعمرة نتيجة لتطور وسائل النقل من برية وبحرية وجوية ضاق المسجد لكثرة الوافدين إليه سنة بعد أخرى، الأمر الذي دعا إلى شعور المسؤولين في حكومة المملكة العربية السعودية إلى ضرورة توسعة المسجد بصورة تجعله قادراً على استيعاب تلك الأعداد الكبيرة من المسلمين، إذ كانت الحاجة ماسة إلى توسعته للحفاظ على قدسية هذا المكان الطاهر،

---

(١) أعلام العلماء الإعلام ببناء المسجد الحرام، اختصار: عبدالكريم بن محب الدين القطبي، ص ص: ٦٩ - ٧١.

(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص: ٦٢.

وتيسير العبادة لضيوف الرحمن حتى يتموا مناسكهم في أمن وطمأنينة.

فلم يكد العمل ينتهي من مشروع توسعة الحرم النبوي حتى جاءت البشرى بتوسعة المسجد الحرام في محرم سنة ١٣٧٥هـ الموافق شهر أغسطس آب ١٩٥٥م برج الأسد ١٣٣٣هـ.س، وفي السادس من صفر من العام نفسه تشكلت لجنة برئاسة ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء الأمير: فيصل بن عبدالعزيز للإشراف والمتابعة على توسعة المسجد الحرام والتي جاءت على مراحل وهي:

المرحلة الأولى:

في الرابع من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٧٥هـ بوشر في العمل، وذلك بإزالة اسلاك الكهرباء والتليفون، ومواسير المياه والمجاري، وهدم الأبنية والمنشآت القائمة هناك، ونقل الأنقاض خارج مدينة مكة المكرمة، وكانت بداية أعمال مشروع التوسعة هو حفر أساس الجدار الخارجي المشتمل على المسعى من ناحيتيه الشرقية والجنوبية، وقد انتهت هذه الأعمال في أوائل شهر شعبان من نفس العام، وفي الثالث والعشرين من شعبان أيضاً احتفل بوضع حجر الأساس في المشروع حيث بوشر بصب القواعد الاسمنتية.

وفيما يتعلق بالمسعى فقد أمكن تحويل الطريق العام الذي كان يخترق المسعى ويسبب إزعاجاً لمن يؤدون شعائرهم من قبل المارة وأصبح السعي بعد هذا ميسراً حيث يؤدي الناس السعي ذهاباً وإياباً دون مشقة أوتعب.

المرحلة الثانية:

تم في هذه المرحلة إزالة المبـاني من منطقة زقـاق البخـارية سابقـاً إلى منطقة باب إبراهيم كتـمهيد لعمارة المنطقة الجنوبيـة، ثم بنى الرواق الممتد من باب أم هانئ إلى باب إبراهيم بطابقـيه، وطبـقة البـدرومات تحت هذا الرواق، وبلغ ارتفـاع الطابق الأول عـشـرة أمتـار ونصف المتـر، وغطيت الجدران بالمرمر، والعقود بالحجر الصناعي.

وأقيـم بهذه الجـهة باب الملك عـبدالعـزيز، إذ يتكون من ثلاثة أبواب كبيرة، ثم أقيم طابق آخر فـوق الرواق الجنوبي، كما أقيم في هذا الجانب ثلاث منارات، الأولى بجوار الصفا وكـانـت بدايتها في المرحلة الأولى، وثنتان بجوار باب الملك عبدالعزيز " على جـانبيه "، وتم تسقيف ماتبقى من مـجرى السيـل الذي بدئ به في المرحلة الأولى، كمـا تم هدم بعض الأبنيـة القـديمة التي كـانت تحـول بين المصلين بـالطابق الأول من الرواق الجنوبي، ورؤية الكعبة.

المرحلة الثالثة:

بدأت هذه المرحـلة في سنة ١٣٨٢هـ إذ أزيـلت المبـاني وحـفـرت الأسـاسات وارتفع بناء الـرواق الغربي إذ يتكون مـن " القبـو " وطابقين علوهمـا مماثـل لعلو الرواق الجنوبي، وسـقف الرواق الـغـربي، وغطيت جدرانه بالرخام، وعقوده وسقفه بالحجر.

وقد بدئ في هذه المرحلـة في الإعداد لمشروع الرواق الشـمالي الذي يمتـد من باب العـمرة إلـى باب السلام، كـمـا تم في هذه المرحلة عـمل منارتين على جـانبي باب العمـرة، وأخليت أرض المرحلة الرابعـة، وهي

الممتدة من باب العمرة إلى باب السلام من المباني القديمة.

المرحلة الرابعة:

أكمل في هذه المرحلة مباني الجانب الشمالي من المسجد الحرام من باب العمرة إلى باب السلام، وتم تأسيس وبناء منارتين على جانبي باب السلام، وأقيم باب السلام على غرار باب الملك عبدالعزيز، كما استكمل باب العمرة، كما اتصل في المرحلة الرابعة بناء الرواق الشمالي بمبنى المسعى، وبهذا اكتملت المباني من جميع جهات المسجد الحرام.

وقد بلغت التوسعة السعودية بجميع مراحلها أضعاف ماكان عليه المسجد الحرام قبل تلك التوسعة. وللمسجد الحرام حالياً أربعة وستون باباً موزعة على مختلف جهات المسجد لعل أكبرها:

١ - باب الملك عبدالعزيز: في الجهة الجنوبية من المسجد، ويتكون من ثلاثة أبواب خشبية منقوشة، وفي مدخل الباب من الناحية الخارجية عقد مقام على أربعة أعمدة وتزينه زخارف جصية، وينقسم العقد إلى ثلاثة أقواس، وعلى جانبيه أقيمت مئذنتان.

٢ - باب العمرة: في الجهة الغربية من المسجد الحرام، وقد بني على نسق باب الملك عبدالعزيز وعلى جانبيه منارتان.

٣ - باب السلام: في الجهة الشمالية من المسجد، وقد بني أيضاً على غرار باب الملك عبدالعزيز وأقيمت على جانبيه منارتان.

٤ - باب الصفا: في الجهة الجنوبية من المسجد لم يكن كبيراً وإنما أقيم على أحد جانبيه منارة مماثلة لسائر منائر المسجد الحرام التي بلغت

سبعاً ارتفاع كل واحدة منها إثنان وتسعون متراً [1].

خصائص توسعة خادم الحرمين الشريفين:

لقد كان مشروع التوسعة الكبرى للمسجد الحرام ثمرة من ثمرات اهتمام خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - حفظه الله - بالمقدسات الإسلامية، وقد تميزت هذه التوسعة بخصائص فقد خضعت لنظام دقيق وفقاً لقواعد أساسية وأُخضعت كل التصاميم لكافة الاحتمالات المتوقعة، مثل الرياح والزلازل، والمؤثرات الطبيعية والجغرافية ومقاومتها على أبعد مدى ممكن.

ويتألف مبنى التوسعة الرئيس من ثلاثة أدوار، ويقوم على هيكل خرساني مسلح، يتألف من أعمدة وعقود وجسور مستمرة مرفوعة على أعمدة، وتصميم السقف تم كبلاطة من الخرسانة المسلحة المستندة إلى جسور في الإتجاهين، وهناك مسافات بين صفوف الأعمدة، تتراوح مابين خمسة أمتار للممرات، وخمسة عشر متراً لأماكن الصلاة، وفي كل طابق خمسمائة وثلاثون عموداً دائرياً ومربعاً.

وقد قُسّم مبنى التوسعة إلى خمس عشرة وحدة مستقلة، وخضعت كل وحدة لدراسة منفصلة لتقدير تحملها وكفاءتها لمقاومة الأحمال الرأسية والأفقية.

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن التوسعة السعودية. أنظر: كتاب صدر عن وزارة الإعلام بعنوان: توسعة الحرمين الشريفين، ص: ٧٣ وما بعدها، أشهر المساجد في الإسلام، جـ ١، ص: ٢٩ وما بعدها.

وفي قلب سطح المبنى الجديد أنشئت ثلاث قباب جديدة متجاورة، وترتكز كل قبة على أربعة أعمدة وتقوم على مقرنصات حاملة لها من الداخل، كما تضم شبابيك علوية من الخشب الساج.

وقد ضمت التوسعة ثلاثة عشر سلماً متحركاً وزعت على جانبي بوابة الملك فهد وعلى جوانب المداخل الثانوية وجوانب المبنى القديم، وقد أنشئت هذه السلالم بالخرسانة المسلحة وكسيت بالرخام[1].

المنبر في المسجد الحرام:

لم يكن بالمسجد الحرام منبر في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين إذ كانوا يخطبون في أيام الجمع قياماً على أقدامهم، وقد استمرت الحال على ذلك حتى عهد الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان الذي يعتبر أول من أحدث المنبر في المسجد الحرام، وهو عبارة عن منبر صغير يتكون من ثلاث درجات، وقد بقي هذا المنبر حتى عهد هارون الرشيد الذي أهدى إلى المسجد منبراً في تسع درجات.

وقد أهدى للمسجد الحرام العديد من المنابر في عهود كل من العباسيين والمماليك والعثمانيين حتى كان آخرها المنبر الذي أهداه السلطان العثماني "سليمان القانوني" ابن سليم، وهذا المنبر مصنوع من الرخام البراق الناصع البياض، إذ يحتوي على ثلاث عشرة درجة، وفي أعلاه أربعة أعمدة من المرمر فوقها قبة مستطيلة صنعت من الخشب، وكسيت بألواح

---

(١) انظر: الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارةً وتاريخاً، عبيدالله محمد كردي، ص ص: ٢٠٤-٢٠٧.

من الفضة مطلية بالذهب، ويبلغ ارتفاع المنبر حوالي إثني عشر متراً[1].

هذه نبذة مـوجزة عن الزيادات التي مـر بها المسـجد الحـرام منذ صدر الإسلام حـتى يومنا هذا، إذ بذل العـديد من الخلفاء والسـلاطين والملوك جهوداً جبارة في توسعة وعمارة هذا المسجد الذي يعتبر أشرف وأطهر بقعة في الأرض، فجزاهم اللّه عن الإسلام والمسلمين خيراً.

---

(١) تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص: ٢٠١ ومابعدها.

المسجد النبوي الشريف

فضل المسجد النبوي الشريف ومكانته :

لقد اقتضت حكمة اللَّه أن يكون قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة فكانت الهجرة إليها، حيث الأنصار الذين بلغوا الغاية في حب إخوانهم المهاجرين ووصل بهم الإيثار إلى أن قالوا للرسول ﷺ: (إن شئت فخذ منا منازلنا)، فقال لهم خيراً[1]، وقد شهد اللَّه تعالى لهم بذلك في قوله: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ..**﴾ [الحشر، آية: ٩].

وقد قال ﷺ: «**اللَّهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار**»[2].

وقد ورد في فضل المدينة المنورة، وفضل أهلها أحاديث كثيرة أذكر بعض فضائلها وميزاتها وما جاء في حرمتها من الأحاديث الصحيحة ومنها:

ما ثبت عن المصطفى - ﷺ - أنه قال: «**المدينة حرم من كذا إلى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث. من أحدث حدثاً فعليه لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين**»[3].

---

(١) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق اللَّه، ص: ٣٠١.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٥٩٨.

(٣) فتح الباري، جـ ٤، ص: ٨١.

ومنها ما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرزُ الحية جحرها**»، قال ابن حجر: "أي أنها كما تنتشر من جحرها في طلب ما تعيش به فإذا راعها شيء رجعت إلى جحرها كذلك الإيمان انتشر في المدينة، وكل مؤمن له من نفسه سائق إلى المدينة لمحبته في النبي - ﷺ - ، فيشمل ذلك جميع الأمنة"[1].

ومنها ما ورد من عظم إثم من يكيد بأهلها، قال رسول اللّه - ﷺ : «**لايكيد أهل المدينة أحد إلا انماع**[2] **كما ينماع الملح في الماء**»[3].

وثبت عنه - ﷺ - أنه قال: «**على أنقاب المدينة ملائكة لايدخلها الطاعون ولا الدجال**»[4].

ومن فضائلها أنها تنفي الخبث، قال - ﷺ -: «**المدينة تنفي خبثها وينصع طيبها**»[5]، وقد دعا رسول اللّه - ﷺ - فقال: «**اللّهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة**»، قال ابن حجر أي من بركة الدنيا بقرينة قوله في الحديث الآخر: «**اللّهم بارك لنا في صاعنا ومدنا**»، ويحتمل أن يريد ما هو أعم من ذلك، لكن يستثنى من ذلك ما خرج بدليل، كتضعيف الصلاة بمكة على المدينة، واستدل به عن تفضيل المدينة

---

(١) المصدر نفسه، ص : ٩٣ - ٩٤.

(٢) انماع: أي ذاب.

(٣) فتح الباري، جـ٤، ص: ٩٤.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٩٥.

(٥) المصدر نفسة، ص: ٩٦.

على مكة وهو ظاهر مـن هذه الجهـة، لكن لايلزم من حـصـول أفضليـة المفضـول في شيء من الأشياء ثبوت الأفـضلية له على الإطلاق[1]، ومن فضائلها ما ورد عنه ﷺ أنه قال: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**»، أي كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمـة وحصول السعادة لما يحصل من ملازمة حلق الذكر، لا سيما في عهده - ﷺ - فيكون تشبيهاً بغير أداة، أو المعنى أن العبادة فيها تؤدي إلى الجنة، فيكون مجازاً، أو هو على ظاهره، أو أن المراد أنه روضة حـقيقية بأن ينتـقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة)[2].

وثبت في الصحـيحين عنه ﷺ: «صـلاة في مسجـدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[3].

تخطيط المسجد وتأسيسه :

كان تخطيط هذا المسجد وتأسيـسه هو أول عمل يقوم به الرسول صلى اللّه عليـه وسلـم عند وصـوله إلى المدينة، في ١٦ من ربـيع الأول السنة الأولى هجرية.

وكان بناؤه في المكان الذي بركت فـيه ناقته القصـواء لأول مرة. وكان هذا المكان مـربداً لغلامين من الأنصار هـما: سهل وسـهيل ابني عـمرو. وكان هذان الغلامان يتيمين يكفلهما أسعد بن زرارة رضي اللّه عنه فاشترى

---

(١) المصدر نفسه، ص: ٩٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ١٠٠.

(٣) صحيح مسلم، جـ ٢، برقم (١٣٩٤)

النبي صلى اللّه عليه وسلم ذلك المكان من الغلامين وأراد الغلامان أن يهبا هذا المكان لرسـول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فـأبى عليه الصـلاة والسلام واشتراه منهما بعشرة دنانير.

وصف المسجد في أول أطواره :

كان المسجد عبارة عن جدار ليس عليه سقف وقبلته إلى بيت المقدس. وكان أسعـد بن زرارة يصلي فيه بأصحابه. ويجـتمع بهم فيه الجمـعة قبل مـقدم رسـول اللّه - ﷺ - فـأمـر النبي ﷺ بالنخل الذي في الحـديقـة وبالغـرقد الذي فيـه أن يقطع. وأمر بـاللبن فضـرب. وكان بالمربد قـبور جاهلية فأمر بها النبي - ﷺ - فنبشت وأمر بالعظام أن تغيب.

وكان بالمربد ماء مستنجل فسيروه حتى ذهب[1].

أقيم مـسجد رسـول اللّه - ﷺ - على قطعة مـربعة الشكل تقـريباً. وجـعل الأساس قـريبـاً من ثلاثة أذرع على الأرض بالحـجارة ثم أحـيط بجدران من اللبن وقد اختـلفت الآراء حول مقدار مساحة المسـجد. فذكر البعض: أنه كان مائة ذراع طولاً في مائة ذراع عرضاً وأنه كان مربعاً.

وقال البـعض الآخر: إنه كـان أقل من ذلك. والراجح لدى كثـير من المؤرخين أن مسـاحة المسجـد كانت ثلاثة وستين ذراعـاً عرضاً في سـبعين ذراعاً طولاً.

وكانت القبـلة متجهة إلى الشـمال نحو بيت المقدس، وقـد أقيم بيت الصلاة في هذه الجـهة. بحيث كان يتخـذ شكل ظلة أو سقيفـة من جريد

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، جـ ١، ص: ٢٣٩.

النخل المغطى بالطين يعتمد على عمد من جذوع النخل. وظلت القبلة على هذا الاتجاه نحواً من سبعة عشر شهراً. حيث تحولت نحو الكعبة وذلك حينما كان النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - يصلى الظهر بأصحابه فبعد أن صلى ركعتين أمر بالإتجاه نحو الكعبة فاستدار هو ومن معه من المصلين وبهذا سمي المسجد الذي صلى فيه بمسجد القبلتين. يقول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة، الآية: ١٤٤].

وكان المسلمون يتسابقون إلى العمل في بناء مسجد الرسول - صلى اللَّه عليه وسلم - يدفعهم إلى ذلك حبهم للَّه ورسوله. وكان النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - يشاركهم بنفسه في العمل والبناء. فكان ذلك يزيدهم قوة ويضاعف من حماستهم إذا أوشك الكلل أن يتسرب إليهم ويهتفون من أعماق قلوبهم: لئن قعدنا والرسول يعمل، لذاك منا العمل المضلل[١].

أبواب المسجد:

جعل للمسجد ثلاثة أبواب فيما بعد، هي:

- باب آل عثمان في الشرق ويسمى باب جبريل، وهو الباب الذي كان يدخل منه النبي - صلى اللَّه عليه وسلم - إلى المسجد.
- وباب عاتكة، والذي يسمى الآن باب الرحمة، ويقع إلى الغرب.

(١) سيرة ابن هشام، جـ ٢، ص: ٨٣.

- والباب الجنوبي، وكان يقع في القسم الشرقي من الجدار الجنوبي أي بين مصلى رسول الله - صلى اللّه عليه وسلم - والحجرة النبوية المطهرة. وقد سد هذا الباب حينما حولت القبلة إلى الكعبة واستعيض عنه بالباب الشمالي.

وقد أشار صاحب كتاب " مرآة الحرمين " إلى أبواب ومحاريب ومآذن المسجد النبوي إذ يقول: للمسجد النبوي خمسة أبواب، اثنان في الجهة الغربية وهما باب السلام، وباب الرحمة،وباب في الجهة الشمالية " باب التوسل "، وبابان في الجهة الشرقية: أحدهما: باب النساء في مقابلة باب الرحمة وباب جبريل.

مآذن المسجد:

أما المآذن فيوجد بالمسجد النبوي خمس مآذن في كل ركن من أركان مئذنه. أما الخامسة[1] فهي أمام باب الرحمة وتسمى مئذنة باب الرحمة.

المنبر:

ويوجد المنبر في الرواق الثالث من الجهة القبلية ويقع عن يساره المحراب النبوي وعن يمينه المحراب السليماني.

أما المحراب العثماني وهو لثالث الخلفاء الراشدين فهو في الجدار القبلي وهو في نهاية الزيادة التي زادها عثمان بن عفان - رضي اللّه عنه - في المسجد[2].

---

(١) هذه المئذنة أزيلت ولم يبق إلا المآذن الأربع التي في الأركان.

(٢) مرآة الحرمين لرفعت إبراهيم.

الصفة أو « دكة الأغوات » :

الداخل من الجهة الشرقية من باب النساء الذي في مقابل باب الرحمة يرى على يمينه محراباً وعلى يساره " الصفة أو دكة الأغوات "، وهي مستطيله طولها إثنا عشر متراً في عرض ثمانية أمتار[1].

وكان هذا المكان يجلس فيه نحو سبعين صحابياً لاهم لهم إلا العلم والجهاد من أشهرهم: أبو هريرة وهم المعروفون بأهل الصفة - رضي اللّه عنهم -.

المقصورة الشريفة :

وفي زاوية المسجد الجنوبية الشرقية تقريباً جزء فصل من المسجد بسور من النحاس الأصفر طول كل من ضلعيه الجنوبي والشمالي ستة عشر متراً، أما الشرقي والغربي فطوله خمسة عشر متراً. يقال له " المقصورة الشريفة "، وداخلها بناء ذو خمسة أضلاع وارتفاعه نحو ستة أمتار. وفيه قبر رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم- في الجهة القبلية. ثم في شماله قبر أبي بكر الصديق إلى الشرق قليلاً، ثم قبر عمر بن الخطاب شرق قبر سلفه قليلاً. والبناء الخارجي أقامة نور الدين زنكي لما بلغه اعتزام الصليبيين - الذين كان يحاربهم - على إخراج الجسد الشريف فبنى ذلك البناء، ونزل بأساسه إلى منابع الماء ثم أفرغ عليه الرصاص حتى لا يستطيعوا له نقباً[2].

---

(١) مرآة الحرمين لرفعت إبراهيم.

(٢) مرآة الحرمين، جـ ١، ص: ٤٤٩.

أبواب المسجد النبوي الآن :

أما أبواب المسجد النبوي الشريف الآن فهي كالآتي:

١ -الأبواب الغربية من ناحية المسجد:

١ - باب السلام ٢ - باب الصديق ٣ - باب الرحمة.

٢ - الأبواب الشمالية من ناحية المسجد:

١ - باب عمر بن الخطاب ٢ - باب عبدالمجيد ٣ - باب عثمان.

٣ - الأبواب الواقعة في الناحية الشرقية:

١ - باب صغير، وقد أنشئ لدخول الإمام.

٢ - باب آخر أكبر من الأول، توسعة لدخول المصلين وخروجهم بعد السلام على النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - وصاحبيه، وكذلك لإدخال الموتى للصلاة عليهم في المسجد.

٣ - باب جبريل.

٤ - باب النساء.

٥ - باب عبدالعزيز.

بناء النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - المسجد الشريف:

وقد بنى النبي - صلى اللّٰه عليه وسلم - مسجده مرتين:

الأولى : حينما هبط إلى يثرب مهاجراً في السنة الأولى من الهجرة بعد خروجه من قباء فجعله قريباً من ثلاثة وستين ذراعاً عرضاً وسبعين ذراعاً طولاً.

والثانية: والبناء الثاني بناه - صلى اللّه عـليه وسلم - بعد فتح خـيبر في السنة السابعة من الهجـرة نظراً لزيادة عدد المسلمين، إذ جعله نحواً من مائة ذراع طولاً في مائة ذراع عرضاً فأصبح المسجد بهذا مربعاً.

ولعل هذا هو السبب في اختلاف آراء المؤرخين حول مساحة المسجد . وقد جعل أساسه من الحجـارة وجدره من اللبن وأعمدته من جذوع النخل وارتفاع سقفه خمسة أذرع في المرة الأولى وسـبعة أذرع في الثانية، وسقفه بجريد النخل والخوص.

حجرات أزواج النبي - صلى اللّه عليه وسلم - بجوار المسجد:

أقام النبي - صلى اللّه عليـه وسلم - إلى جوار مسجـده داراً لزوجته عائشـة -رضي اللّه عنهـا - وأخرى لزوجتـه سودة - رضي اللّه عـنها - وأقام من الناحية الشرقية بقية منازل أزواجه رضوان اللّه عليهن "أي كانت كلها في الشق الأيسر من المسجد إذا كنت مـتجهاً إلى القبلة " وقد بلغت دور أزواج النبي - صلى اللّه عليه وسلم - تسعاً.

ويقال: بأن سعة كل حجرة في هذه الدور كانت بقدر تسعة أذرع طولاً وسبعة أذرع عرضاً.

ويشير البعض إلى أن حجر أزواج رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - ليست من المسجد ولكن أبوابها شارعة فـيه. وكانت هذه البيوت تسعة بيوت باللبن. ولها حجر من جريد مطرور بالطين[1].

---

(١) الدرة الثمينة لابن النجار، ص: ٦٠. المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها، ص: ١٦٨.

وقـد أضافت سكنى الـرسول - صلى اللّه علـيه وسلم - في الجـامع أهمية خاصـة إليه. فقد أصبح المركز الرئيس للجـماعة. وأغلب الظن أن النبي - صلى اللّه عـليه وسلم - قـصـد إلى هذا المعنى عندمـا قـرر بناء حجراته هناك. فما كان يعسر عليـه أن يبني لنفسه مسكناً قريباً من المسجد ولكنه أراد أولاً أن يكون مقامه داخل المسجد ليصبح المسجد المركز الرئيس للجماعـة وأراد ثانياً أن يرى المسلمون كيف يعيش. رغم ماكـان يتمتع به من سلطان واسع. ليكون ذلك نموذجاً يحتذيه غيره ممن يخدمون الجماعة.

فقد أراد أن يعلمهم بأن الخدمة العامة في جماعة الإسلام ليست رياسة أو سيـادة بقدر مـاهي خدمـة لأبناء الأمة وليـست بممارسـة سلطان على الناس، وإنما هي خدمـة عامة تؤدى للجمـاعة خالصة لوجه اللّـه لايقصد منهـا إلى ثراء أو جـاه أو ترف أو مظهـر إنما هي واجب يؤدى حـبـاً في الإسلام وجماعته وابتغاء لثواب اللّه وحده[1].

المسجد النبوي بعد وفاة رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - :

وبعد وفاة الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - نخرت الجذوع في عهد أبي بكر الصديق - رضي اللّه عنه - فجـددها وبنى المسجد بجذوع النخل والجريد، وفي عـهد عمـر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - ضاق المسـجد بالمصلـين فـجـدده في سنة (١٦هـ - ٦٣٧م) وبناه على شكـل بناء الرسول - صلى اللّه عليه وسلم - .

---

(١) المساجد لحسين مؤنس، ص: ٦٢.

المسلمون يقتدون بالمسجد النبوي في بناء مساجدهم :

لقد نهج المسلمون في بناء مساجدهم في البلاد التي فتحت نهج مسجد رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم - من التواضع في البناء والاكتفاء بما هو على قدر الحاجة.

ويتمثل ذلك في كل من مسجد البصرة الذي اختطه عتبه بن غزوان سنة ١٤هـ، حيث أقيم على قطعة من الأرض يحيط بها سياج من القصب. ثم بنى بعد ذلك بالطين واللبن بأمر من أبي موسى الأشعري عامل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على البصرة وسقف بالعشب ومثله مسجد الكوفة الذي حفر حوله خندق عوضاً عن الجدران كما اتبع عمرو بن العاص في بناء مسجده بالفسطاط[١] سنة ٢١هـ.

وكانت مساجد البصرة والكوفة والفسطاط خالية من المحاريب المجوفة والمنابر والمآذن. على غرار مسجد رسول اللّه - ﷺ - وقت إنشائه فلما أراد عمرو بن العاص أن يتخذ له منبراً في مسجده، بل اتخذه بالفعل. كتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه - قائلاً:

أما بعد: فإنه بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين أما بحسبك أن تقوم قائماً والمسلمون تحت عقبيك، فعزمت عليك إلا ماكسرته. وعندها كسره تنفيذاً لأوامر الخليفة[٢].

وإليك ماجاء في آخر " رسالة المسجد في الإسلام من الزيادات التي مر بها المسجد النبوي الشريف.

---

(١) تاريخ العرب، جـ ١، ص: ٣٩.

(٢) حسن المحاضرة، للسيوطي، جـ ١، ص: ٦٥.

الزيادات التي مر بها المسجد النبوي الشريف

لقد مرّ المسجد النبوي الشريف بعدد من الزيادات منذ عهد رسول اللّه - ﷺ - حتى يومنا هذا.

فلقد أسس رسول اللّه - ﷺ - مسجده حين قدومه إلى المدينة المنورة في السنة الأولى من الهجرة سنة ٦٢٢م، وجعله ما يقرب من ثلاثة وستين ذراعاً عرضاً، وسبعين ذراعاً طولاً وجعل له ثلاثة أروقة من الجهة الشمالية.

ولما تحولت القبلة إلى الكعبة في الخامس عشر من شعبان في السنة الثانية من الهجرة جعلت الأروقة من الناحية الجنوبية، وتركت الأروقة الأولى لإيواء الفقراء والمهاجرين ممن لايجدون مأوى لهم.

وفي المحرم من السنة السابعة للّهجرة، وسع النبي عليه الصلاة والسلام مسجده عندما ازداد عدد الداخلين في الإسلام، فأصبح طوله مائة ذراع، وعرضه مائة ذراع أيضاً تقريباً، إذ أصبح مربعاً.

كما زاد فيه الخليفة الثاني " عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - في سنة ١٧هـ عندما ضاق بالمصلين، فبناه على شكل بناء الرسول وجعل أساطينه من لبن، وسقفه بالجريد، وجعل عمده من خشب، فجعله ما يقرب من مائة وعشرين ذراعاً عرضاً من الشرق إلى الغرب، ومائة وثلاثين ذراعاً طولاً من الشمال إلى الجنوب، وكانت الزيادة من الشمال والجنوب والغرب حيث كانت بيوت أزواج النبي ملاصقة للمسجد من الشرق.

كما زاد فيه الخليفة الثالث " عثمان بن عفان " رضي الله عنه من جهاته الثلاث، الجنوبية، والشمالية، والغربية، وأصبح بهذا طوله مائة وستين ذراعاً، وعرضه مائة وثلاثين ذراعاً [1] فبني جدره بالحجارة المنقوشة والقصة، وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج[2].

وقد بقي المسجد النبوي على حالته تلك حتى عهد الوليد بن عبدالملك الذي أمر واليه على المدينة، عمر بن عبدالعزيز بإعادة بنائه، وإدخال حجرات النبي - ﷺ - فيه، وقد بدأ الهدم ثم العمل في المسجد عام ٨٨هـ، وانتهي العمل منه في عام ٩١هـ. إذ استغرق مايقرب من ثلاث سنوات. كما زاد فيه الخليفة العباسي المهدي، حيث بدئ بالعمارة في سنة ١٦٢هـ وانتهي العمل في سنة ١٦٥هـ ولعل أكبر الزيادات التي حظى بها المسجد النبوي الشريف منذ تأسيسه حتى عهد السلطان العثماني عبدالمجيد الأول، هي تلك الزيادة التي أجريت لهذا الجامع في عهد هذا السلطان، إذ بديء في العمل عام ١٢٦٥هـ وانتهى العمل عام ١٢٧٧هـ، وقدرت التوسعة بما يقرب (١٢٩٣م) وهي ثلاثة أمتار من الناحية الشرقية من المئذنة الرئيسية إلى باب جبريل، ومن الناحية الشمالية جعل مكاتب ومخازن من طابقين[3] والبناء من الحجر الأحمر اللون، وتعلو الأعمدة عقود فوقها قباب. أما أكبر توسعة مر بها المسجد النبوي الشريف منذ إنشائه حتى يومنا هذا فهي تلك التي حدثت في العهد القائم للدولة

(١) السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، جـ ١، ص: ٣٦.

(٢) ابن الجوزي، الوفا بأحوال المصطفى، ص: ٢٥٥.

(٣) نشرة أصدرتها رئاسة الإشراف الديني للحرمين الشريفين موجودة بمكتبة الحرم النبوي، ص: ٣.

السعودية، إذ بدأت المرحلة الأولـى سنة ١٣٧٠هـ، في الخامس من شوال في عهد الملك عبدالعزيز وانتهى البناء في عهد الملك سعود سنة ١٣٧٥هـ.

إذ قدرت الزيادة بحوالي (٦٠٢٤م) بالإضافة إلى المساحة التي أزيلت من عمارة عـبدالمجيد وتقدر بحـوالي (٦٢٤٧م) فتكون مساحـة العمارة والتوسعة السعودية حوالي (١٢٢٧١م).

وأبقي على عمارة عبدالمجيد حيث تبلغ مساحتها (٤٠٥٦) متراً مربعاً.

وقد أقيمت هذه العمارة من الخرسـانة المسلحة، من أعمدة تحمل عقود مدببة، وقـسم السقف إلى مربعات شكلت على أنماط الأسقف الخـشبية، وعمل للأعـمدة المسـتديرة تيجـان من البرونز زخـرفت بزخارف نبـاتية، وكسيت الأعمدة بالموزايكو، وغطيت قواعدها بالرخام، وأقيم مئذنتان في الجهة الشمالية ارتفـاع الواحدة (٧٠م)، وأساسها (١٧م)، وطول الجدار الشرقي الغربي (١٢٨م)، أما الشمالي الجنوبي فطوله (٩١ م).

ولم يمض وقت طويل حـتى ضـاق المسجـد بالمصلين، مما حـدا الملك فيـصل بن عبدالعزيز إلـى الأمر بنزع ملكية البـيوت الواقعة إلى الشـمال والغرب من الحرم النبوي، وذلك في عام ١٣٩٣هـ، وجعل عليها مظلات لحماية المصلين من الشمس، حيث أحـيطت بسور، وتم تبليطها بالرخام، وإنارتها وتهويتها، وتبلغ مساحتها (٣٠٤٠٦م)، وفي عهد الملك خالد بن عبدالعزيز هدم جزء آخر من البيـوت الواقعة غرب المظلات بمساحة قدرها (٣٢٤٠١م)، وذلك في عام ١٣٩٨/١٣٩٩هـ، إذ أضـيفت إلى المظلات بنفس التصميم، حيث بلغت المساحة الإجمالية للمظلات (٦٢٨٠٧م).

وفي يوم الجمعة ٩/٢/١٤٠٥هـ وضع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز حجر الأساس للتوسعة السعودية الثانية، والتي تقدر مساحتها بما يقارب (٨٤٠٠٠م) أي حوالي أربعة أضعاف مساحة المسجد النبوي، وتشمل الجهات الغربية والشمالية والشرقية، وتتضمن تكييف الهواء، وتهيئة السطح للصلاة فيه أوقات المواسم، وأن يكون التأسيس قابلاً لإقامة طابق آخر، إذا دعت الحاجة إلى ذلك[1].

وقد أنتهى هدم البيوت الواقعة شرق الحرم فيما بينه وبين البقيع، وهو ما يسمى "حارة الأغوات" في شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٥هـ.

وقد ابتدأ العمل الجاد في البناء - بالنسبة للتوسعة السعودية الثانية - منذ مدة وجيزة، وذلك بحفر الأساسات على عمق منخفض ضماناً لقوة البناء فصبت القواعد وظهرت العديد من الأعمدة خارج سطح الأرض.

فجزى الله القائمين على هذا العمل الخيري منذ عهد رسول الله - ﷺ - إلى يومنا هذا خير الجزاء.

وليس هناك عمل أفضل من عمارة المساجد إذا حَسُنت النيات، وخلص العمل لوجه الله سبحانه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ [التوبة، آية:١٨]، ويقول - ﷺ -: «**من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة**»، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

---

(١) نشرة أصدرتها رئاسة الإشراف الديني للحرمين، ص: ٤.

دور المسجد النبوي الشريف في نشر العلم:

لقد كان مسجد النبي - ﷺ - على عهده وصحابته الكرام جامع وجامعة فهو المدرسة الأولى لنشر العلم وإشاعة المعرفة وإقامة الشعائر الدينية مكاناً للعبادة والاعتكاف ومكاناً للتعليم والتوجيه ومحل تشاور المسلمين وتناصحهم فيما بينهم ومقراً للقضاء ومركز القيادة العسكرية وعقد الألوية للجيوش الإسلامية المجاهدة في سبيل اللَّه ومكاناً للضيافة واستقبال الوفود القادمة على رسول اللَّه -ﷺ- راغبة في دخول الإسلام.

لقد كان مسجد رسول اللَّه - ﷺ - في المدينة هو الجامعة الأولى التي ربي فيها رسول اللَّه - ﷺ - أصحابه على يديه خير تربية. حتى فقهوا في دين اللَّه. فكانوا إذا تعلموا عشر آيات من النبي - ﷺ - لم يجاوزوها إلى غيرها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل فكان الصحابة - رضوان اللَّه عليهم - يختلفون إلى هذا المسجد فيصيبون فيه علماً وهدى، وقد حرص الصحابة على ذلك. حتى أن عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - كان يتناوب هو وجارة زيارة مسجد الرسول - ﷺ - فكان إذا ذهب عمر للمسجد أخبر صاحبه بما جرى في طيلة ذلك اليوم وإذا ذهب جاره إلى المسجد أخبر عمر بما جرى طيلة ذلك اليوم أيضاً.

روى البخاري في صحيحه في " باب التناوب في العلم "، قال: قال عمر بن الخطاب - رضي اللَّه عنه - كنت أنا وجاري من الأنصار نتناوب النزول على رسول اللَّه - ﷺ - ينزل يوماً وأنزل يوماً فإذا نزلت يوماً جئته بخبر ذلك اليوم، وإذ انزل فعل مثل ذلك، ولقد تخرج من مسجد الرسول - ﷺ - أبطال ورجال غيروا وجه التاريخ إلى أحسن حال، من

هؤلاء: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد بن أبي وقاص والزبير ابن العوام وخالد بن الوليد وعبدالرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود والمقداد ابن عمرو وأبو عبيدة عامر بن الجراح وغيرهم كثير.

ومن هذا المسجد تخرج أيضاً العلماء الجهابذة والفقهاء والمحدثون من أمثال: عبداللَّه بن عباس، وعبداللَّه بن مسعود، ومالك بن أنس، ومحمد ابن إدريس لشافعي، والبخاري، ومسلم.

فكان هؤلاء مصابيح الهدى وشموس العلم والمعرفة.

يقول بعض العلماء: هناك علماء تألقوا في المسجد. فمن مسجد الرسول - ﷺ - في المدينة تألق الإمام مالك بن أنس، ومن جامع الفسطاط تألق محمد بن إدريس الشافعي، وفي مسجدالكوفة وبغداد تألق أبو حنيفة النعمان، وفي بغداد تألق شيخ السنة الإمام أحمد بن حنبل، ومن رجال الحديث: ابن راهوية والبخاري والترمذي ومسلم وابن ماجه والنسائي، وفي اللغة والنحو: الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والكسائي(١)، قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [الجمعة، الآية: ٢].

---

(١) رسالة المسجد والإمام لعبدالرحمن الحوت، ص: ١٤٥.

مسجد قباء

تأسيس المسجد:

في يوم الاثنين، الثامن من ربيع الأول سنة أربعة عشر من النبوة الموافق سنة ٦٢٢م نزل النبي - ﷺ - "قباء" مهاجراً. وفي هذا المكان أسس هذا المسجد وهو أول مسجد أسس في الإسلام وأسس على التقوى.

وقد نزل رسول اللّه - ﷺ - أول مانزل على كلثوم بن هدم أخى بني عمرو بن عوف، ويقال: إنه نزل على سعد بن خيثمة، حيث أقام بقباء أربعة أيام هي: الإثنين والثلاثاء، والأربعاء، والخميس.

يقول بعض المؤرخين: عندما أسس رسول اللّه -ﷺ- مسجد قباء كان هو أول من وضع حجراً في قبلته. ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى جانب حجر أبي بكر ثم أخذ الناس بالبنيان[١].

المسجد الذي أسس على التقوى:

لقد اختلفت الآراء حول المسجد الذي أسس على التقوى: هل هو مسجد قباء ؟ أم هو مسجد رسول اللّه - ﷺ - في المدينة ؟.

يقول ابن سعد: إن أول مسجد أسس على التقوى هو مسجد قباء[٢].

ويؤيد ابن سعد في هذا الرأي: السهيلي إذ يقول: إن مسجد قباء هو المسجد الذي ورد ذكره في القرآن الكريم بأنه المسجد الذي أسس على

(١) مسالك الأبصار، جـ ١، ص: ١٢٧.

(٢) الطبقات الكبرى، جـ ١، ص: ٢٤٤.

التقوى لأن تأسيسه كان في أول يوم من حلول رسول اللّه - ﷺ - "دار هجرته"[(١)]، وأكد على ذلك أيضاً: ابن الجوزي[(٢)]، وياقوت الحموي[(٣)] والطبري[(٤)] في تفسيره إذ يقول: عن ابن عباس - رضي اللّه عنهما: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة، الآية: ١٠٨] يعني مسجد قباء، كما أن عروة بن الزبير قال: الذين بُني فيهم المسجد الذي أسس على التقوى: بني عمرو بن عوف، والمعروف أن بني عمرو بن عوف يسكنون قباء في ذلك الوقت.

ولعل مما يؤيد ذلك أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة، الآية: ١٠٨]، قال رسول اللّه - ﷺ - لأهل قباء: «**إن اللّه قد أحسن عليكم الثناء في الطهور فما تصنعون ؟**»، قالوا: إنا نغسل عنا أثر الغائط والبول.

ويضيف الطبري قائلاً: لما قدم النبي - ﷺ - على أهل قباء قال: إن اللّه قد أثنى عليكم بالطهور خيراً. يعني قوله: فيه رجال يحبون أن يتطهروا، قالوا: إنا نجده مكتوباً عندنا في التوراة. الاستنجاء بالماء.

القائلون بأن هذا المسجد هو مسجد المدينة :

قال بذلك بعض العلماء. منهم البلاذري إذ قال: اختلف رجلان في عهد رسول اللّه - ﷺ - في المسجد الذي أسس على التقوى. فقال

---

(١) الروض الأنف، جـ ٤، ص: ٢٥٤.

(٢) الوفا بأحوال المصطفى، ص: ٢٥٤.

(٣) معجم البلدان، جـ ٨، ص: ٥٠.

(٤) تفسير الطبري، جـ ١٤، ص: ٤٧٨.

أحدهم: هو مسجد الرسول - ﷺ -، وقال الآخر: هو مسجد قباء. فأتيا رسول اللَّه - ﷺ - فسألاه: فقال: هو مسجدي هذا، وقال الطبري: إن رجلاً من بني خدرة ورجلاً من بني عمرو بن عوف امتريا في المسجد الذي أسس على التقوى. فقال الخدري: هو مسجد رسول اللَّه - ﷺ -، وقال العوفي: هو مسجد قباء فأتيا رسول اللَّه - ﷺ - فقال: «**هو مسجدي هذا وفي كل خير**»[1].

القول الراجح :

والرأي الراجح أن المسجد الذي أسس على التقوى هو مسجد قباء لتعاضد الأدلة على ذلك وهذا لا يضير مسجد الرسول - ﷺ - بالمدينة.

منزلة مسجد قباء :

هذا المسجد له منزلة كبيرة، وقد وردت فيه آيات قرآنية كما جاء في فضله أحاديث نبوية، أما الآيات فتلك التي فضحت المنافقين عندما اتخذوا مسجد الضرار، وأقاموه محاولة منهم لتفريق كلمة المسلمين، وإضراراً بهم ومضاهاة لمسجد قباء الذي أسس على التقوى. يقول اللَّه تبارك وتعالى: **﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٠٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا**

---

(١) تفسير الطبري، ١٤/ ٤٨١.

جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [التوبة الآيات: ١٠٧ - ١٠٩].

أما الأحاديث النبوية في فضل مسجد قباء فمنها:

عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن رسول الله - ﷺ - كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً وماشياً، وكان ابن عمر يفعله.

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من توضأ فأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة**»[1].

وقال أيضاً: «**صلاة في مسجد قباء كعمرة**»[2].

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يأتي مسجد قباء يوم الإثنين والخميس فجاء يوماً من تلك الأيام فلم يجد فيه أحداً من أهله. فقال:

"والذي نفسي بيده لقد رأيت رسول الله - ﷺ - وأبا بكر في أصحابه ينقلون حجارته على بطونهم يؤسسه الرسول بيده. وجبريل عليه السلام يؤم به البيت وحلف عمر بالله: لو كان مسجدنا هذا بطرف من الأطراف لغربنا إليه أكباد الإبل"[3].

(١) ابن سعد الطبقات جـ ١، ص: ٢٤٤.

(٢) ابن كثير تفسير، جـ ٢، ص: ٣٧٩.

(٣) العباسي، عمدة الأخبار، ص: ١٣٤.

موقع مسجد قباء ووصفه :

ويقع هذا المسجد العظـيم في قرية قباء بين الحدائق والنخـيل في الجهة الجنوبية للمـدينة المنورة. وقد اتصلت حـالياً بالمدينة وصار لايفـصلها عن المدينة شيء.

ويشير البعض إلى أن الأشرف "قايتباي" السلطان المملوكي، قد أرسل منبراً رخـاماً أبيض للمـسجد النبـوي في سنة ٨٨٨هـ، ومكث فيـه مدة. حتى أرسل السلطان العثماني " سليمان القانوني " المنبر الموجود حالياً في مسـجد رسـول الله ـ ﷺ ـ في المدينة. حـيث نقل منبر "قـايتبـاي" من المسجد النبوي إلى مـسجد قباء، وقد بقى فيه إلى أنه جـدد ووسع مسجد قباء فـي الآونة الأخيرة في عهـد خادم الحرمين الشريفين "الملك فـهد ابن عبدالعـزيز" حيث كانت مـساحة المسجد الـسابقة لاتتجـاوز (١٢٢٥) متراً مربعاً.

أما التوسعة الحالية فتقدر بحوالي (١٣٥٠٠) متر مربع، وتتسع لأكثر من (١١٨٥٠) من المصلين .

مآذن المسجد :

وتوجد بالمسجد أربع مآذن في الأركان الأربعة من المسجد.

أبواب المسجد:

أبواب هذاالمسجد كـثيرة. ففي الجهة الجنوبيـة " القبلة " ، يوجد بابان أحدهما على يمين المحراب والثاني على يساره.

أما الجهة الغـربية ففيها سـبعة أبواب. بابان منها كبيـران، وهـما الثاني والسابع بدء من الجنوب إلى الشمال.

وفي الشـمال ثلاثة أبواب الأوسط منهـا هو الباب الرئيس لـلمسـجد مقابل المحراب أما الباب الذي يقع في الركن الشرقي فيؤدي إلى القبو كما يؤدي في نفس الوقت إلى الدور الثـاني الذي خصص للنساء. كـما يؤدي في الدور الأرضي إلى مصلى النساء على يمين الداخل.

أما الباب الواقع في الركن الشمالي الغربي فهو الآخر يؤدي إلى الدور الثاني الخـاص بالنساء. كـما يؤدي أيضـاً إلى القبو الأسـفل، وفي نفس الوقت يؤدي إلى مكان خاص بالنساء على يسار الداخل.

ويتصل المدخلان المؤديان إلى الدور الثاني مع بعضهما البعض.

أما الشـرق فيوجد فـيه أيضاً سـبعة أبواب اثنان منهـما كبيـران وهما موازيان للبـابين الكبيرين الـواقعين في الجهـة الغربية من المسـجد، وهناك العديد من دورات المياه في الجـهة الشرقية من المسجد تتـصل بالمسجد عن طريق درج يؤدي إليها خاصة بالنسبـة للدور الثاني الخاص بالنساء، أما من خارج المسجـد فالطريق إليها مفـتوح، كما توجد مـساكن لكل من الإمام والمؤذن.

مكانة مسجد قباء في نفوس المسلمين:

لقد جـرت عادة القادمين إلى المدينة المنورة وهـم في طريقهم إلى حج بيت اللّه الحرام. أو ممن يزورون مسجد رسول اللّه - ﷺ - في المدينة أن يزوروا مسـجد قباء. ويصلوا فـيه اقتداءً برسـول اللّه - ﷺ - الذي كان يزوره كل يوم سبت.

وزيارة مسجد قباء تثير في النفس ذكريات الهجرة النبوية المباركة وذكريات كفاح النبي - ﷺ - وصحابته الكرام في سبيل اللّه وذكريات جهاد الأنصار وصمودهم إلى جانب رسول اللّه - ﷺ - وتضحياتهم في سبيل اللّه. حتى انتصر الحق على الباطل والتوحيد على الشرك والهدى على الضلال والإسلام على الكفر والسلام على الحرب حتى تغلغل دين اللّه في الأرض. إذاً فإنطلاقة الإسلام الأولى في المدينة إنما كانت من هذا المسجد وهذه القرية التي استقبل فيها رسول اللّه - ﷺ - بالحفاوة والترحيب.

ولقد حظي هذا المسجد بدور هام في تعليم المسلمين أمور دينهم كغيره من المساجد، وقد كانت حلقات العلم تعقد في مسجد قباء[1].

(١) فصول من تاريخ المدينة المنورة، لحافظ علي، ص: ١٢٦.

المسجد الأقصى

المسجد الأقصى هو ثالث الحرمين الشريفين وأولى القبلتين، وقد بني غرب مسجد عمر محاذياً له وهو يشبه في تنظيمه الداخلي الجامع الأموي بدمشق.

والمتعارف عليه عند الناس: أن المسجد الأقصى هو الجامع المبني في صدر المسجد الذي به المنبر والمحراب الكبير فقط، بينما يؤكد بأن الحقيقة هي أن الأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور فالمراد بالمسجد الأقصى هو جميع مادار عليه السور(١).

وصف المسجد الأقصى:

وصف بعض العلماء المسجد الأقصى فقال: المسجد الأقصى هو معهد الأنبياء ومتعهد الأولياء وثاني البيت الحرام في البناء وأول القبلتين حال الإبتداء ومن صخرته المقدسة المعراج حيث عُرج بخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام من حضرة القدس إلى حضرة القدس وبسط له بساط الأنس ودنا من ربه مقاماً لم يبلغه الخليل ولا الكليم ولا وصل إليه ملك مقرب ولانبي كريم، وقد أم في ذلك المسجد بالنبيين، وصعد منه إلى أعلى عليين وإلى صفيح تلك البقعة المحشر ومنها يوم القيامة المنشر، والصخرة بها عرش اللّه الأدنى ومقام الفخار الأسنى(٢).

يقول أحد أبناء القدس في وصف المسجد في مؤلف له عن القدس:

---

(١) الأنس الجليل لأبي اليمن الحنبلي، جـ ٢، ص: ٢٤.

(٢) مسالك الأبصار في مسالك الأمصار، جـ ١، ص: ١٣٣.

"دخلت المسجد الأقصى مراراً في ريعان شبابي ولكني ما أمعنت النظر فيه مثل المرة الأخيرة وهي يوم الجمعة لأيام خلت من رمضان سنة ١٣٦٥هـ الموافق ٢٤ آب ١٩٤٥م. عندما دخلته باحثاً مستقصياً من أجل كتابي هذا وإليك وصفه كما رأيته اليوم :

"طوله ٨٠ متراً وعرضه ٥٥ متراً، وهو قائم على ٥٣ عموداً من الرخام، ٤٩ سارية من الحجارة، وهذه ضخمة ومربعة الشكل. أما الأعمدة فمصنوعة من الرخام المختلف الألوان الواحد منها خمسة أمتار - خلا القاعدة والتاج - وقطره يقرب من المتر، وفي الصدر قبة مصنوعة من الخشب، وهي مستورة من الخارج بصفائح الرصاص ومزينة من الداخل بالفصوص الذهبية الملونة، وفي المسجد الأقصى محراب كبير كائن إلى الشرق من المنبر كانوا يسمونه فيما مضى "محراب داود" ثم صاروا يسمونه "محراب عمر" وهناك في صدر المسجد إلى الغرب من المنبر محراب آخر يسمونه " محراب معاوية" .

وفي داخل المسجد الأقصى وعند زاويته القبلية إلى الشرق جامع متصل به وهو مستطيل الشكل ويسمونه "جامع عمر " .

كما كان هناك جامع آخر يسمى "جامع النساء" ، وهو في الجانب الغربي إلى القبلة، وهناك المنبر وهو مصنوع من الخشب المرصع بالعاج والأبنوس وقائم على أعمدة من المرمر.

وللمسجد الأقصى إلى يومنا هذا أحد عشرة باباً سبعة منها إلى الشمال وهي كبيرة وباب واحد إلى الشرق، وهو الذي ينتهي إلى مهد عيسى عليه السلام، وبابان في الغرب أحدهما الباب الذي تدخل منه النساء إلى

الجامع المسمى باسمهن وفي الجدار القبلي باب غير نافذ[1].

مدينة القدس التي يقع فيها المسجد الأقصى :

لقد دخلت مدينة القدس حاضرة الإسلام صلحاً على يد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه- سنة ١٥هـ، وبقيت كذلك حتى سقوطها على يد الافرنج خلال الحروب الصليبية في عام ٤٩٢هـ الموافق ١٠٩٩م.

لكن القائد المسلم: صلاح الدين الأيوبي مالبث أن استعادها من براثن الصليبيين في المعركة الفاصلة في التاريخ " حطين " المشهورة سنة ٥٨٣هـ الموافق ١١٨٧م. حيث أعاد إليها وجهها الناصع وصبغتها الإسلامية. كما أعاد للمسلمين في القدس مساجدهم ومقدساتهم ورد إليهم اعتبارهم الذي فقدوه منذ أن غزت النصرانية ديار الإسلام[2].

ونتيجة للنزاع العائلي بين أبناء صلاح الدين فقد ضعف هؤلاء عن الإحتفاظ بتلك المقدسات، وانتهى الأمر أخيراً بضياع القدس من أيديهم مرة أخرى على أيدي الصليبيين في سنة ١٣٢٩م واستمرت على هذا الوضع إلى أن قيض اللّه للإسلام من أعاد تلك المدينة وغيرها من المدن الأخرى التي سيطر عليها الصليبيون إلى حاضرة الإسلام.

حيث تمكن السلطان العثماني "سليم الأول" من إعادتها إلى الإسلام وبقيت كذلك حتى احتلها الحلفاء في سنة ١٩١٧م في الحرب العالمية الأولى. ووضعت تحت الانتداب البريطاني.

---

(١) تاريخ الحرم القدسي لعارف العارف، ص: ٦٩ - ٧٠.

(٢) تاريخ مدينة القدس، للأعظمي، ص: ٢١.

وكان لبـريطانيا دور كبيـر في ضياع هذه المدينة بل في ضـياع فلسطين بكاملها حيث فتـحت الباب على مصراعية للتـغلغل اليهودي في فلسطين على إثر وعد وزير خارجية بريطانـيا " بلفور " ذلك الوعد المشؤوم الذي التزمت به الحكومـة البريطانيـة في ٢ نوفمبـر ١٩١٧م، وهو الوعد الذي قطعته بريطانيا على نفسها بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

واستـمرت على هذا مـؤيدة ومناصرة لليـهود حتى تأكـد لها ضـمان مستقبل اليهود في إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين وعندها نفضت يدها من فلسطين وسواء وضعت فلسطين تحت عصبة الأمم أو غيرها فإن اليهود تمكنوا وبمسـاعـدات بريطانية وغـيـر بريطانيـة من إقـامـة دولـة لهم في فلسـطين على حـسـاب أهلها فـأعلـنوا دولتـهم وارتكبوا من الفـظائع ما تقشعر منه الأبدان حتى الأماكن المقدسة لم تسلم من اعتداءاتهم[(١)].

فضل المسجد الأقصى ومكانته :

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ①﴾ [الإسراء، آية: ١]. فـلم يصف سبـحانه وتعالـى ما به من البـركة، وإنما وصف ما حوله من البركة؛ فسكت عن بركـة المسجد الأقصى وكأن بركته في السعة والشمول مما هو أعظم من أن ينبه إليه في هذا الموقف.

قال رسول الله ﷺ: «**لا تشد الرحـال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسـجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى**»[(٢)].

---

(١) رسالة المسجد في الإسلام.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ومن فضائل المسجد الأقصى ما روته ميمونة رضي اللَّه عنها قال: قلت يا رسول اللَّه، أفتنا في بيت المقدس، قال ﷺ: **«أرض المحشر والمنشر ائتوه وصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره»**(١).

ومن فضائله أيضاً أنه لايدخله الدجال، ففي الحديث النبوي الذي يذكر فيه الدجال: (وعلامته يمكث في الأرض أربعين صباحاً يبلغ سلطانه كل منهل، لايأتي أربعة مساجد: الكعبة ومسجد الرسول - ﷺ - والمسجد الأقصى، والطور)(٢).

ولا غرو في ذلك فهذه المساجد الثلاثة تحتل مكاناً بارزاً في نفوس المسلمين لايتمتع بها أي جامع أو مسجد آخر في الإسلام.

كما أن السفر وشد الرحال إليها لأجل الحصول على رضا اللَّه وثوابه أمر رغب فيه رسول اللَّه - ﷺ - ولهذا فقد عاش في فلسطين عدد كبير من أصحاب رسول الله رضي الله عنهم، ومن التابعين، ومن كبار الأئمة والفقهاء وغيرهم .

ومن هنا استوجب على المسلمين حماية مقدساتهم في مشارق الأرض ومغاربها فالمسجد الأقصى هو الذي أسري برسول اللَّه - ﷺ - إليه. وإليه اتجه المسلمون في صلواتهم مع رسول اللَّه - ﷺ - حوالي سبعة

---

(١) رواه أحمد، جـ ٦، ص: ٤٦٣، وفي الزوائد ه: إسناده صحيح.

(٢) رواه أحمد، جـ ٥، ص: ٣٦٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٤٣): " ورجاله رجال الصحيح ".

عشـر شهراً قبلـة للمسلمين إلى أن حولت القـبلة إلى الكعبة في المسـجد الحرام[1].

من أجل هذا كان للمسجد الأقـصى المكانة الغالية عند كل مسلم ولن يرتاح أي مسـلم في الدنيا إلا بعـد أن يعود إلى حوزة الإسـلام بإذن اللّه تعالى.

أول من بنى المسجد الأقصى:

سُئل رسـول اللّه - ﷺ - أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ فـقال: (المسجد الحرام). قلت ثم أيّ ؟ قال: (المـسجد الأقصى)، قلت: كم كان بينهما ؟. قال: (أربعون سنة)[2].

قال ابن قيم الجوزية: وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به، فقال: معلوم أن سليمان بن داود هو الذي بنى المسجد الأقصى، وبينه وبين إبراهيم أكثر من ألف عام، وهذا من جـهل هذا القائل، فإن سليمان إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده، لاتأسيسه والذي أسسه هو يعقوب بن إسحاق صـلى اللّه عليهما وآلهـما وسلم بعد بناء إبراهيم الكعـبة بهذا المقـدار[3]. ولعل المراد بالحـديث الإشـارة إلـى أول البناء ووضع أسـاس المسجد وليس إبراهيم أول من بنى الكعبـة ولا سليمان أول من بنى البيت المقدس فقـد ورد أن أول من بنى الكعبة آدم عليه السـلام، ثم انتشر ولده في الأرض، وقيل الملائكة، فـيكون الواقع من إبراهيم أو يعقوب عليـهما

---

(١) رسالة المسجد في الإسلام.

(٢) رواه البخاري في كتاب لأنبياء جـ ٤، ص ١٧٧، ومسلم في كتاب المساجد برقم ٥٢٠.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، جـ ١، ص: ٥٠.

السلام أصلاً وتأسيساً ومن داود تجديداً لذلك وابتداء بناء فلم يكمل على يده حتى أكمله سليمان عليه السلام.

وذكر ابن هشام في كتاب "التيجان" أن آدم لما بنى الكعبة أمره اللّه بالسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه، وبناء آدم للبيت مشهور[1]، فالمكان موغل في القدم، وقد هاجر إبراهيم عليه السلام إلى تلك الديار، وكذلك لوط عليه السلام، وأقام إسحاق ويعقوب عليهما السلام، وفيها دفن موسى على مرمى حجر من القدس، وفيها ولد عيسى عليه السلام، وعاش زكريا ويحيى عليهما السلام ثم تشرفت تلك الديار بأن تكون مسرى الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، وتزداد شرفاً حين اجتمع بالأنبياء عليهم السلام فأمهم خاتم الأنبياء والمرسلين.

ما يضمه الحرم الشريف :

يضم الحرم الشريف بفلسطين ثلاثة مساجد:

١ - المسجد الأقصى.

٢ - مسجد عمر.

٣ - مسجد الصخرة.

نشأة المسجد الأقصى :

المسجد الأقصى واحد من المساجد الإسلامية الكبرى التي كان لها الدور القيادي والريادي في جوانب متعددة: التعليمي منها والسياسي والاجتماعي. إذ أصبح في يوم من الأيام بمثابة جامعة إسلامية وله رسالة

(١) انظر: فتح الباري، جـ ٦، ص ص: ٤٠٨ - ٤٠٩.

علمية أداها على الوجه الأكمل.

إذ يقول عنه البعض:

"يمثل المسجد الأقصى مظهراً حضارياً وفكرياً كما يمثل مظهراً من مظاهر التمدن الإسلامي ويقوم بدوره في دراسة التراث الإسلامي والحفاظ عليه. كما كان له أثر كبير في خدمة الثقافة الإسلامية ورعايتها.

لقد كان المسجد الأقصى بما قام فيه وفي ساحاته ومن حوله من مؤسسات علمية ومدارس ومكتبات ودور قرآن ودور حديث وزوايا وخوانق ورابطات كانت عبارة عن معاهد علمية أو كليات أو جامعة تعقد فيها الحلقات العلمية وتدرس العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والتاريخ وعلم الكلام والمنطق والعلوم الرياضية وغير ذلك من فنون العلم.

كما رتب في المسجد الأقصى أربعة من الأئمة يمثلون المذاهب الأربعة.

وتوجد بالمسجد مكتبة بها العديد من الكتب والمخطوطات ولكن كثيراً من هذه الكتب تعرضت للسرقة والنهب وبيعت بأبخس الأثمان[(١)].

المدارس في المسجد الأقصى:

لقد كان المسجد الأقصى محط أنظار العلماء وقبلة الزائرين وملتقى العلماء من كل حدب وصوب ولعل أبرز مثل على ذلك وجود عدد من المدارس في المسجد الأقصى من أشهرها:

المدرسة النصرية: أو كما يقول البعض عنها: المدرسة الغزالية. حيث تنسب إلى الشيخ أبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي. وتنسب أحياناً إلى

(١) الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى، ص: ٩١، ٩٤، ٢٦٦.

الإمام أبي حامد الغزالي. فلقد درس المقدسي بالمدرسة النصرية في الحرم القدسي الشريف فنسبت إليه حيث يشير البعض إلى أن المقدسي أقام بالقدس مدة طويلة بالزاوية التي تقع على باب الرحمة المعروفة بالناصرية[١]. كما درس على يد هذا الشيخ العديد من طالبي العلم في بيت المقدس حيث أملى مجالس كثيرة وروى عنه العديد من تلامذته. والتقى به الغزالي وأبو بكر بن العربي بدمشق كما درّس في نفس المدرسة الشيخ الغزالي وألف في بيت المقدس: " الرسلة القدسية في قواعد العقائد "، وتقع هذه الرسالة في أربعة أركان: الركن الأول: في معرفة ذات اللّه تعالى، والثاني: في صفاته، والثالث: في أفعاله، والرابع: في السمعيات. ويقوم كل ركن على عشرة أصول، وقد أشار إليها الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين[٢]، هذا إلى جانب العديد من العلماء الذين كان لهم دور بارز في توجيه الفكر منذ أزمان بعيده حتى استولى عليه اليهود في ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م[٣]، أعاده اللّه آمين.

جريمة حرق اليهود للمسجد الأقصى :

إن من أكبر الجرائم التي ارتكبها اليهود في فلسطين هي جريمة حرق المسجد الأقصى في سنة ١٣٨٩هـ الموافق سنة ١٩٦٩م.

إذ يقول البعض عن هذا:

جريمة حرق المسجد الأقصى جريمة نكراء تنتهك فيها حرمة الأماكن

---

(١) الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، جـ ١، ص: ٢٩٨.

(٢) إحياء علوم الدين، جـ ١، ص ص: ١٠٤- ١٢٤.

(٣) رسالة المسجد في الإسلام، ص: ٢١٥.

المقدسة بالحرق والتدمير. وتعيد للذاكرة فوضى الوثنية وهمجية البرابرة.

ارتكبت هذه الجريمة التي لاتستطيع الألفاظ أن تعبر عن بشاعتها. ويعجز القلم أن يدون بالكلمات عمق مراراتها فكيف يحرق الأقصى المبارك؟ وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومهبط إسراء وموضع معراج رسول اللّه - ﷺ -.

كيف تحرق آثار إسلامية خلدها الزمن قرابة أربعة عشر قرناً ؟.

ففي الساعة السادسة وعشرين دقيقة من صباح يوم ٢١/٨/١٩٦٩م. أشعل يهودي يدعى (ميكل دنس وليم روهان) النار في المسجد الأقصى، وظلت النار مشتعلة إلى الساعة الثانية عشرة والدقيقة العاشرة ظهراً، ونتج عن هذا حرق وتدمير المقصورة الملكية بالمسجد، وحرق وإتلاف معظم خشب السقف في القسم الجنوبي الشرقي من المسجد وحرق منبر "نور الدين" الذي وضعه "صلاح الدين الأيوبي" بالمسجد، كذلك حرق معظم السجاد الموجود بالجهة الجنوبية الشرقية، ولم يطفىء الحريق سوى آلاف المسلمين من الرجال والنساء والأطفال. وبعد أن تخبطت اليهود في عشوائية الاتهامات أعلنت في اليوم الثاني للحريق أنها قبضت على (روهان) مقترف الجريمة[1].

كما أعلنت في الوقت نفسة أن الفاعل مصاب بالجنون حتى تبرئ ساحته ويفلت من العقاب.

ولكن يمكرون ويمكر الله واللّه خير الماكرين. ويأبى اللّه ألا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. إن شاء اللّه سيعود الأقصى وتعود للمسلمين بعودته

---

(١) أشهر المساجد في الإسلام، جـ ١، ص ص: ٣٣٨ - ٣٣٩.

كرامـتهم، وإن غداً لناظره قـريب ولينصرن الله من ينصـره إن اللّه لقوي عزيز.

فلن تضيع أرض الإسراء؛ لأن الله الذي كرمها بسكن الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فيها لن يبقيها سكناً لقتلة الأنبياء أحفاد القردة والخنازير. فالأرض التي كان لها شأنها وقدسـيتها في الزمن الأول، سيظل لها الشأن والقداسة، لأن قدسية المكان لا تؤثر فيها صروف الزمان.

وسـتكون الغلبـة في النهـاية للإسـلام والمسلمين هذا وعـد اللّه. ولن يخلف اللّه وعده، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً ۝٧﴾ [الإسراء، الآية: ٧].

وبعد الحديث عن المسـجد الحرام، والمسجد النبوي الشـريف، ومسجد قباء، والمسجد الأقصى الـشريف، سنتناول الحديث عن أهم المساجد التي أقيمت في العالم العربي والإسلامي آخذين في الاعتبار الأقدمية من حيث تاريخ الإنشاء وأول هذه المساجد:

مسجد البصرة

منزلة مسجد البصرة:

يعتبر مسجد البصرة أول مسجد أنشئ بعد الفتوحات الإسلامية. لأن البصرة كانت أول مدينة أحدثت في الإسلام خارج الجزيرة العربية سنة ١٤هـ.

وصف المسجد:

كان مسجد البصرة عبارة عن قطعة من الأرض، ويعود إنشاء هذا المسجد إلى عتبة بن غزوان وذلك بعد أن نزل البصرة إذ اختط موضع المسجد الجامع.

وكان هذا المسجد عبارة عن صحن مربع مكشوف أحيط بسور من القصب سرعان ما أتت عليه النار، ثم بنى بعد ذلك باللبن والطين وسقف بالجريد وجذوع النخيل حتى حصل له أول تجديد على يد زياد بن أبيه عامل معاوية بن أبي سفيان على البصرة سنة ٤٤هـ، حيث بناه بالآجر والجص وسقفه بخشب الساج واتخذ له أعمدة من حجر منحوت.

ويقال بأن زياد بن أبيه بنى لفناء الجامع مئذنة من الحجر وذلك عندما أعاد بناءه على نحو يتناسب مع ما وصلت إليه البصرة من اتساع وعمران وزيادة سكان.

مكانة المسجد في الإسلام :

لقد أصبح المسجد هو أول مايخطر ببال المسلمين حينما يخططون مدينة أو قرية لأن تلك سنة رسول اللّه - ﷺ - عندما أسس مسجده في المدينة

المنورة ومن قبله مسجد قباء. فسار المسلمون من بعده على هذا المنوال.

وأصبح المسـجد هو الطابع الذي يميز هذه الحضارة، يعبر عن صلتـها الوثيقة برب هذا الكون ويؤذن بمـهمتها التي عليـها أن تضطلع بها في هذا العالم، ولما تم فـتح بعض البلدان في عهد عـمر بن بالخطاب - رضي اله عنه - كان أول عمل يقوم به هو إنشاء المسجد وتخطيطه.

ولهذا كـان أول عمل قام به الولاة هو إنشاء المسـاجد في الأقطار التي يتم فتحها على أيديهم.

النشاط العلمي لمسجد البصرة :

قام هذا المـسجد بدور بـارز في النهضـة العلميـة والأدبية في العـصر الأموي ففيه جلس الكثير من الفقـهاء والعلماء يلقون دروسهم ومن أشهر من جلس للتدريس في مسجد البصرة.

١ - الحسن البصري.

٢ - واصل بن عطاء.

٣ - الخليل بن أحمد الفراهيدي.

٤ - سيبويه عالم النحو تلميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي.

مسجد الكوفة

تأسيس مدينة الكوفة:

تعتبر الكوفة ثاني مدينة اقيمت في العراق بعد البصرة.

مؤسس الكوفة :

يعود تأسيس الكوفة وإنشاؤها إلى سعد بن أبي وقاص - رضي اللّه عنه - الذي تحول إليها من المدائن.

تأسيس مسجد الكوفة :

من المعروف عند علماء التاريخ: أن أول ما انشئ في الكوفة هو: مسجدها الجامع المعروف " بمسجد الكوفة "، حيث اختطه الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أحد السابقين الأولين والعشرة المبشرين بالجنة ورجال الشورى السته .

وصف المسجد :

يصف العلماء مسجد الكوفة وصفاً دقيقاً فيقولون:

كان المسجد عبارة عن قطعة من الأرض مربعة الشكل يحيط بها خندق عوضاً عن الجدران. وذلك صيانة له من ولوج الناس إليه بدون طهارة.

ومنعاً لدخول الحيوانات إليه، وكان له سقف يقوم على أعمدة من الرخام نقلت إليه من قصر فارس في إقليم الحيرة.

يقول عن هذا ابن الأثير: وبنيت ظلة في مقدمة مسجد الكوفة على أساطين رخام من بناء الأكاسرة في الحيرة وجعلوا على الصحن خندقاً لئلا يقتحمه أحد ببنيان.

ويقال بأن المغيرة بن شعبة وسع المسجد وبناه.

وقد أعيد بناؤه في عصر زياد بن أبيه الوالي الأموي آنذاك، وذلك في سنة ٥١هـ. حيث يشير البلاذري إلى أن زياد قال: أنفقت على كل أسطوانة من أساطين مسجد الكوفة ثماني عشرة مائة كما أن ابن جبير قد أشار إلى هذا المسجد في رحلته إذ يقول:

"وفي الجانب الأيمن من القبلة يوجد محراب محلق عليه بأعواد الساج مرتفع عن صحن البلاط كأنه مسجد صغير وهو محراب أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب - رضي اللّه عنه -.

النشاط العلمي لمسجد الكوفة:

ولقد أصبح هذا المسجد مركزاً كبيراً من مدارس الفقه. ففيه ظهرت مبادئ الفقه المبني على التجرد واستنباط مفهومه من الكتاب والسنة.

فقد جلس فيه علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنه - يعلم الناس أصول الدين كما جلس فيه كل من: عبداللّه بن مسعود، وعبداللّه ابن حبيب السلمي لتدريس القرآن الكريم والتفسير.

كما ظهرت في هذا الجامع مدرسة للتفسير واشتهر من معلميها سعيد ابن جبير، وعلي بن حمزة الكسائي، ومن أئمة الفقه الإمام أبو حنيفة.

لقد أصبح هذا المسجد مركزاً علمياً تدرس فيه العديد من العلوم حيث كان من أقـدم المعلمين فيـه علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنه -، وأبو الأسود الدؤلـي. حيث يقـال: بأن علي بن أبي طالب هو أول من وضع علم النحو وأن أبا الأسود الدؤلي هو الذي أخذ ذلك عن علي في مسجد الكوفة وذلك نتيجة لظهور العـديد ممن لايحسنون العربية. على إثر دخول الكثير من الأعاجم في الإسلام فأدى ذلك إلى ظهور الدراسات اللغوية.

وهكذا أصبح مسجد الكوفه مركزاً هاماً لـلحياه العلمية والسياسية ومن أهم وأبرز المعاهد الثـقافية في الإسـلام منذ أنشئ في عهد الخليفـة الثاني عـمـر بن الخطاب[1]، ولكنه للأسف اندثر مـنذ زمن ولم يبق له أثر وإن كانت مدينة الكوفة لازالت موجودة، وتـقع بين البصرة وبغداد وبها جامع كبير ولم أجد شيئاً اعتمد عليه عن تاريخ المسجد القائم الآن.

(١) رسالة المسـجد، وتاريخ بغـداد. الكامل في التاريخ لابن الاثيـر. فتوح البـلدان للبلاذري، تاريخ الرسل والملوك للطبري.

جامع عمرو بن العاص في الفسطاط

تأسيس المسجد:

عندما فتح المسلمون مصر زمن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي اللّه عنه - على يد الفاتح القائد "عمرو بن العاص" - رضي اللّه عنه - أسس هذا القائد مدينة الفسطاط، وأنشأ فيها مسجداً سنة ٢١هـ، سمي باسمه.

وكا يسمى بالمسجد العتيق وتاج الجوامع، ويعتبر رابع مسجد جامع أقيم في الإسلام بعد مساجد المدينة المنورة، والكوفة، والبصرة.

كما يعتبر أول مسجد أسس في مصر بعد الفتح الإسلامي.

وصف المسجد ومساحته:

كان مسجد عمرو بن العاص في الفسطاط بمصر في غاية البساطة فعندما عزم عمرو بن العاص على بناء المسجد وقف على إقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة، منهم: الزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وأبو الدرداء، وأبو ذر الغفاري وغيرهم.

ويقول: إن القبلة كانت مشرقة جداً، وأن قرة بن شريك لما هدم المسجد وبناه زمن الوليد بن عبدالملك تيامن بها قليلاً.

ولم يكن للمسجد محراب مجوف أيام عمرو وإنما وضع المحراب قرة بن شريك وقد بلغت مساحة المسجد وقت إنشائه ثلاثين ذراعاً عرضاً، وخمسين ذراعاً طولاً، وبنيت حوائطه باللبن، وفرشت أرضه بالحصى، وأعمدته من جذوع النخل وسقف بالجريد.

وكان أول من زاد في المسـجد هو الوالي الأموي على مصـر " مسلمة بن مخلد الأنصـاري " سنة ٥٣هـ، وأقام فيه أربع مـآذن، جعل الوصول إليها من مراق خارج الجامع.

كما زاد فيه أيضاً "عبدالعزيز بن مروان"سنة ٧٩هـ، من الجهة الغربية.

وفي سنة ٩٢هـ أمر والي الأمويين على مصر " قرة بن شريك " بهدم المسجد وإعادة بنائه وزيادته. حيث أدخل فـيه بعض دار عمرو بن العاص وابنه عبداللّه.

كمـا أدخل الطريق الذي يقع بين الدارين والمسـجد. كـما أمر بـعمل محراب للمســجد مماثلاً للمحراب الذي أحدثه عمر بن عبـدالعزيز بمسجد المدينة، كما أحدث فتح المقصورة تقليداً لما فعله معاوية بالمسجد في دمشق.

كما أدخل فيه الوالي العباسي " صالح بن علي " دار الزبير بن العوام - رضي اللّه عنه، ثم توالت الزيادة فـيه حـتى سنة ٢١٢هـ، وهي الزيادة التي أحدثها فـيه "عبداللّه بن طاهر" الوالي العباسي على مـصر من قبل الخليفة المأمون، حـيث تضاعفت مساحة المسجـد، وتعتبر هذه الزيادة التي قام بهـا ابن طاهر هي أضخم التوسـعات في المسجد الجـامع. كما تعتـبر أيضاً هي خاتمة التوسـعات التي حدثت فيه. حيث بقي محتـفظاً بمساحته تلك حتى الآن.

ولقد بلغت مـساحة المسـجد على يد "عـبداللّه بن طاهر" ٥، و١١٢ عرضاً، وطولاً ١٢٠ متراً أي مايساوي خمسة عشر ألف متر مربع تقريباً. ومازالت هذه المساحة كما هي حتى الآن.

النشاط العلمي لجامع عمرو بن العاص في مصر:

كان هذا المسجد جامعاً ومعهداً علمـياً كبيراً انتشرت منه ثقافة الإسلام في كل مكان ومن أشـهر العلمـاء الذين أفادوا العـالم الإسلامي بعلمـهم وتآليفهم انطلاقاً من هذا المسجد:

١ - عبـدالله بن عمرو بن العـاص: الذي يعتـبر بحق أول من جلس للتدريس في هذا المسـجد فكانت له حلقة فيه يـدرس فيها لعدد كـبير من طلاب الحديث متناً وشـرحاً، وحلقة أخرى يدرس لطلبته اللغـة السريانية حيث قيل إنه كـان يجيدها، وقد وضع في هذا المسجد كـتابه في الحديث الذي سماه "الصادقة" وألف كتابه الآخـر "أقضية الرسول ﷺ"، وكتابه "أشراط الساعة"، وبهذا يعتبر عبدالله بن عمرو أول فقيه ومعلم في مصر.

وتولى التعليم في هذا المسجـد أعداداً كبيرة جداً من خـيرة العلماء من رجال التفسير والحديث والفقة.

٢ - ابن القاسم.

٣ - عبدالله بن لهيعة.

٤ - الليث بن سعد.

٥ - الإمام محمد بن إدريس الشافعي: الذي قدم إلى مصر سنة ١٩٩هـ، أو سنة ٢٠١هـ، حيث كـون حلقة في المسجـد، كانت هي أول مدرسة لتدريس الفقه، وذلك بعد أن عرض مذهبه على الناس.

وقد ألف الشافعي كتابه "الأم" في الفـقه في هذا المسجد، وكان يجلس للتدريس عقب صلاة الصبح فيجلس إليه طلبة الحديث ثم الفقه ثم اللغة.

وقد حدد ابن بطوطة موضع الزاوية التي كان الإمام الشافعي رحمه اللّه يدرس فيها إذ يقول: وبشرق المسجد تقع الزاوية حيث كان يدرس الإمام أبو عبداللّه الشافعي[1].

ولقد بقي الشافعي في هذا المسجد يفيض على الناس من علمه حتى مرض مرضه الأخير - رحمه الله -.

٦ - محمد بن جرير الطبري: المفسر والمحدث والفقيه والمؤرخ.

٧ - عبداللّه بن وهب المصري المشهور.

٨ - ابن عبدالحكم المؤرخ المصري.

٩ - القاضي الحنفي "إسماعيل بن اليسع" وهو أول من أدخل الفقه الحنفي إلى مصر، وقد سار نظام التعليم في هذا المسجد منذ عهوده الأولى مسيرة أكبر الجامعات في وقتنا الحاضر، حيث يعتبر أول جامعة إسلامية، فكان هذا الجامع ينبوع العلم والمعرفة في شتى أنواع المعرفة الإنسانية واعتنى به الخلفاء عناية فائقة.

ولم يفقد هذا المسجد منزلته العلمية إلاّ بعد أن استولى العثمانيون على مصر حيث هجره رواده واقتصر الأمر فيه على إقامة الشعائر الدينية فقط " وللّه الأمر من قبل ومن بعد ".

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ص: ٣٧.

جامع القيروان بتونس

القيروان رابع مدينة أقيمت في الإسلام بعد البصرة والكوفة والفسطاط تولى ذلك القائد عقبة بن نافع - رضي اللّٰه عنه - القائد الأموي الفهري.

إذ كان أول عمل قام به هو تخطيط المسجد الجامع في القيروان ومازال هذا الجامع يحـمل اسم هذا الفاتح إلى يومنا هذا، وقد أقيم هـذا المسجد سنة ٥٠هـ.

تحديد اتجاه القبلة في مسجد القيروان:

بذل عقبة بن نافع جهداً كبيراً في تحديد اتجاه القبلة حتى وفق إلى ذلك اثر رؤيا رآها في المنام كما يقول بعض المؤرخين.

المنبـر :

وبهذا المسجـد منبر عتيد، بقي على مر الدهور والعـصور وهو مصنوع في الساج الهندي الذي لايصـيبه التسوس وقـد استورد المادة الخشـبية من الهند " أبو إبراهيم أحمد الأغلبي التـميمي سنة ٢٤٦هـ ويتكون المنبر من مائتين وثمان وثمانين قطعة خشبية وكل قطعة لها نقش خاص مميز لها وقد استـورد هذا الخشب أحـمد الأغلبي لكي يصنع منه مـجمـوعة من الآت الطرب واللّٰهـو ولكن اللّٰه شـرح صدره ووفـقـه وهداه بأن صنع من هذا الساج منبراً ليبقى خالداً راسخاً ثابتاً على مر الزمن.

ومند صنع في عـام ٢٤٦هـ وحـتى الآن لـم يحـدث به خلل أو تلف أوتسوس ويبدو لمن رآه أنه صنع للتو.

المحـــراب :

إن محراب هذا المسجد رخام مـخرم قد وضعه زيادة اللّه الأغلبي سنة ٢٢١هـ وبالمسجـد مقصـورة من خشب الساج قـد أهداها للمسجـد المعز لدين اللّه بـن باديس سنة ٤٢٠هـ ولايقـوم المحـراب في مـنتـصف ضلع المسجد تماماً، إذ يميل إلى اليسار عن الوسط مقدار مترين ونصف.

أطوال وأبعاد مسجد القيروان :

يرتسم مســجد القيـروان على سطح الأرض على شكل مستطيل غـير متســاوي الأضلاع. عرضه سـبعة وسبعـون متراً ، وطوله سـتـة وعشرون ومائة متر.

وفيه بهــو فسيح يقرب طـوله من سبعة وسـتين متراً وعرضه مــن ستة وخمسين متراً.

ولهذا البــهو مـجنبات يبلغ عـرض كل منها حوالي سـتة أمـتار وربع وتنقسم الواحده منها إلى رواقين.

أما بيت الصلاة فطوله سبعون متاً وعرضه سبعة وثلاثون متراً وسبعون سنتيمتراً ويقع المحراب في نصف دائرة قطرها متران.

مئذنة مسجد القيروان:

وبالمسجد مـئذنة ضخمة كـبيرة طولها اثنا عـشر متراً في عشــرة أمتار وارتفاعــها خمــسون متــراً وقد بنى هذه المئذنــة الخليفة الأمــوي هشام بن عبدالملك في أوائل القــرن الثاني الهجري وهذا المســجد يشبه في مســاحته وبنائه وتصميمه الجامع الأموي بدمشــق.

وقد بنى حسان بن النعمان مئذنة الجامع التي مازالت موجودة حتى الآن وإن كان البعض يؤكد على أن المئذنة القائمة الآن إنما يعود إنشاؤها إلى الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك الذي أمر ببنائها في مطلع القرن الثاني الهجري، وليس حسان بن النعمان.

وقد جاء تجديد حسان للمسجد والتوسعة فيه بعد أن رأى أن المسجد أصبح لا يسع المصلين ولاتتناسب مساحته مع تطور حركة العمران في القيروان وازدياد عدد سكانها في ذلك الوقت.

مساحة المسجد في عهد هشام بن عبدالملك:

أكد الدكتور أحمد فكري في أبحاثه بأن مسجد عقبة بن نافع كان في سنة ١٠٥هـ أيام الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك يحتل نفس المساحة التي يحتلها اليوم من جدار القبلة إلى المئذنة في جدار المؤخرة ومابين الجدارين الشرقي والغربي، فإلى عقبة يرجع تخطيط جدار القبلة وموضع المحراب.

النشاط العلمي في مسجد القيروان:

لقد كان هذا المسجد منارة العلم في المغرب الإسلامي قاطبة حيث تخرج فيه من العلماء من يفخر بهم العالم العربي والإسلامي على مر العصور ولعل أبرز شاهد على ذلك هو أن شيوخ القيروان ممن تلقوا علومهم في هذا المسجد هم الذين جعلوا مسجد القرويين بفاس جامعة كبرى على إثر نزوحهم من القيروان إثر الغارة الهلالية. فهم الذين أسسوا جامع القرويين وأعطوه اسمه وعمروه بالعلم وحلقات الدرس. ذلك أن كلمة القرويين تعني القيروانيين في نظر العديد من العلماء والمؤرخين.

أبرز علماء مسجد القيروان:

لقد برز الكثير من العلماء ومن بين هؤلاء :

- علي بن زياد تلميذ مالك بن أنس.

- وأسد بن الفرات الذي أقام مدة طويلة بالمدينة المنورة قادماً من القيروان ليأخذ المذهب المالكي. ثم ذهب إلى العراق ليأخذ الفقه الحنفي عن أبي يوسف تلميذ أبي حنيفة.

- الإمام سحنون بن سعيد الذي سافر هو الآخر إلى المدينة المنورة «على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام» للاستزادة من العلم ثم عاد إلى القيروان .

هذا هو جامع القيروان الذي مازال معقلاً من معاقل الإسلام في الشمال الإفريقي، والذي يعتبر لعلمائه الفضل الأكبر في نشر الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية في وقت كان هذا المسجد موئلاً للعديد من رواد العلم والمعرفة ومنطلقاً للجهاد في سبيل اللّه إلى العديد من الأقطار الأخرى التي كان له فضل إدخالها في الإسلام.

حيث شارك بعض علماء جامع القيروان في وضع خطة مدروسة لغزو صقلية في عهد الأغالبة. ولعل قاضي القيروان المشهور " أسد بن الفرات " الذي تلقى علومه في مسجد القيروان كان واحداً من هؤلاء الرجال الذين خططوا لذلك الغزو بل لقد أسند إليه أمر قيادة ذلك الجيش الغازي وكان عمره قد تجاوز السبعين عاماً فحقق مهارات فائقة وانتصارات عجيبة ومات وهو محاصر لبعض قلاعها - رحمه اللّه تعالى -[(١)].

---

(١) رسالة المسجد في الإسلام، د. عبدالعزيز بن محمد اللميلم، ص: ٢٧٠، ٢٧٧.

المسجد الأموي بدمشق

تأسيس المسجد:

يرجع إنشاء المسجد الأموي بدمشق إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك فيما بين عامي ٨٨، ٩٦هـ / ٧٠٧، ٧١٤م حيث استقدم له الصناع والعمال المهرة من شتى أنحاء البلاد الإسلامية.

ولقد اعتبر هذا المسجد في نظر المؤرخين والجغرافيين القدامى منهم والمحدثين من أجلّ وأجمل المساجد الإسلامية قاطبة[1].

وصف المسجد:

ولقد وصف ابن جبير هذا المسجد عندما زاره في أواخر القرن السادس الهجري، فقال: هو من أشهر جوامع الإسلام حسناً وإتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه وقد انتدب لبنائه الوليد بن عبدالملك، ووجه إلى ملك الروم بالقسطنطينية يطلب منه اشخاص إثنى عشر ألفاً من الصناع من بلاده.

فشرع في بنائه وبلغت الغايات في التأنق فيه. وأنزلت جدره كلها بفصوص من الذهب المعروف "بالفسيفساء" وخلطت بها أنواع من الأصبغة، وقد مثلت أشجار وفرعت أغصاناً وكان مبلغ النفقة فيه أحد عشر ألف دينار ومائتي ألف دينار.

والوليد هذا هو الذي أخذ نصف الكنيسة الباقية منه في أيدي النصارى وأدخلها فيه لأنه كان قسمين: قسم للمسلمين وهو الشرقي، وقسم

---

(١) الفنون العربية الإسلامية، ص: ٨٣.

للنصارى وهو الغربي لأن أبا عبيدة بن الجراح رضي اللّه عنه. دخل البلد من الجهة الغربية فأنتهى إلى نصف الكنيسة، وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى.

ودخل خالد بن الوليد - رضي اللّه عنه - عنوة من الجانب الشرقي وانتهى إلى النصف الثاني وهو الشرقي. فاختاره المسلمون وصيروه مسجداً وبقي النصف الآخر المصالح عليه كنيسة بأيدي النصارى إلى أن عوضهم عنه الوليد فأبوا ذلك. فانتزعه منهم قهراً فلما تولى عمر ابن عبدالعزيز عوضهم عنه بمال عظيم أرضاهم به فقبلوا[1].

والوليد لم ينتزع هذه الكنيسة قهراً كما يقول ابن جبير، وإنما الواقع والذي اتفق عليه غالبية المؤرخين: أن الوليد أرضاهم وعوضهم عنها. لأن هناك أماكن في دمشق فتحت عنوة. لعل من بينها كنيسة " توما " الكبيرة، حيث أوضح لهم إن لم يرضوا بذلك فسوف يهدم كنيستهم تلك فرضوا بذلك وهدمت الكنيسة وألحقت بالجامع[2].

ويتألف المسجد من صحن مستطيل طوله مائة وستون متراً وعرضه مائة متر، وطول جدار القبلة في بيت الصلاة مائة وستة وثلاثون متراً وعرضه سبعة وثلاثون متراً[3].

وقد صرف الوليد عنايته إلى إقامة مسجد في دمشق يتناسب ومكانة العاصمة ومنزلتها بين المدن الإسلامية. حيث دام بناؤه مايقرب من ثمان

---

(١) رحلة ابن جبير، ص: ٢٣٥.

(٢) رسالة المسجد في الإسلام، ص: ٢١٨.

(٣) المدخل، د. حسن الباشا، ص: ٢١٨.

سنوات، أنفق فيـها على المسجد خـراج سبع سنين كما يقـول العديد من المؤرخين.

مكانة مسجد دمشق المعمارية:

إن هذا المسجد تحفة من تحف العجائب المعمارية الإسلامية يحتل مكانة بارزه في تاريخ العـمارة العـربية الإسلامـية سـواء من ناحيـة تخطيطه أو بالنسبة لأهمية عناصره المعمارية والزخرفية.

كما يعـتبر هذا المسجد آية من آيات الفن العـربي الإسلامي حيث بالغ الوليد بن عبدالملك في بنائه.

فكان محـرابه مرصعـاً بالجواهر عليـه قناديل الذهب والفضـة ومحلى بالفسيفساء والسلاسل الذهبية فلـما بويع بالخلافة " عمر بن عبد العزيز " -رضي اللّه عنه - رأى أن المال الذي أنفق على المسـجد كثيـر. حيث تأثر بيت المال من جراء ذلك.

ولكن اتفق أن وصل إلى دمـشق سـفـراء من قبل امـبـراطور الروم. ورغبوا في زيارة المسجد. فوكل عـمر رضي اللّه عنه رجلاً يعرف لغتهم. فلما دخلوا المسـجد ورأوا عظمتـه وبهاءه نكس رئيس الوفد رأسه واصـفر لونه فسأله من معه عن أمره فقال:

"إنا معشـر أهل رومية نقول: إن بقاء العـرب قليل. فلما رأيت مابنوا علمت أن لهم مدة لابد أن يبلغوها "، فلما وصل هذا الكلام إلى مسامع الخليفة" عمر بن عبدالعزيز " رضي اللّه عنه، قال: إني أرى أن مسجدكم

غيظ على الكفار وترك ماعزم عليه[١].

ويشير البعض إلى أن هذا المسجد قد احتفظ بمعظم عناصره التخطيطية التي بني عليها في عهد الوليد بن عبدالملك بالرغم مما تعرض له من أحداث جسام في العصور التالية وبالرغم من الحرائق التي أتلفت أجزاء كبرى منه، ومن أعمال الإصلاح والتجديد التي تمت فيه وشوهت بعض آثاره العتيقة. وبالرغم من أن القبة التي تتوسطهُ والتي أقيمت هي ودعاماتها في عهد السلطان ملكشاه في سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م، قد غيرت من مظهريه الداخلي والخارجي[٢].

النشاط العلمي للجامع الأموي بدمشق:

لقد أصبح الجامع الأموي بدمشق مركزاً هاماً من مراكز الثقافة في العالم الإسلامي إذ اشتمل على حلقات للتدريس يقوم بها العلماء والفقهاء وليدرسوا للطلبة مختلف العلوم. كما يوجد فيه مساكن للطلبة الغرباء بالإضافة إلى زوايا عدة كانت في المسجد يتخذها الطلبة للنسخ والانفراد.

يقول ابن جبير عن هذا الجامع:

"وفي هذا الجامع المبارك مجتمع عظيم كل يوم إثر صلاة الصبح لقراءات سبع من القرآن دائماً. ومثله إثر صلاة العصر، وفيه حلقات للتدريس للطلبة وللمعلمين فيها إجراء واسع. وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي يجتمع فيه طلبة المغاربة. ومرافق هذا الجامع للغرباء

---

(١) مسالك لأبصار في ممالك الأمصار للعمري، جـ ١ ص: ١٩١، تهذيب تاريخ دمشق جـ١، ص: ٢١١.

(٢) المدخل، ص: ٢١٨ .

وأهل الطلب كثيرة واسعة وأغـرب مايحدث به: أن سارية من سواريه هي بين المقـصورتين القـديمة والحديثـة لها وقف مـعلوم يأخذه المسـتند إليـها للمذاكرة والتدريس(١).

كما أشار ابن بطوطة هو الآخر إلى حلقات التدريس في هذا المسجد إذ يقول ولهذا المسـجد حلقات للتدريس في فنون العـلم. والمحدثون يقرءون كتب الحديث على كراسي مرتفعة. وقراء القرآن يقرءون بالأصوات الحسنة صباحاً ومـساءً وبه جماعة من المعلمين لكتـاب اللّه يستند كل واحد منهم إلى سارية من سـواري المسجـد يلقن الصبيـان ويقرئهم. وهم لايكتـبون القرآن في الألواح تنزيها لكتاب اللّه تعالى وإنما يقرءون القرآن تلقيناً.

ومعـلم الخط غيـر معلم القـرآن. يعلمهم كـتابة الأشـعار وسـواها، فيـنصرف الصـبي من التعليم إلى الـتكتيب وبذلك جـاد خطه لأن المعلم للخط لايعلم غيره ويشير ابن بطوطة إلى أن صحيح البخاري قد أملي في هذا الجامـع إذ يقول: "سمـعت بجامـع بني أميـة - عمره اللّـه بذكره - جميع صحيح البخاري " على الشيخ المعمر رحلة الآفاق. ملحق الأصاغر بالأكـابر "شـهاب الدين أحـمـد بن أبي طالب" المعـروف بابن الشـحنة الحجازي في أربعة عشر مجلساً(٢).

ويقول العـمري: وقـد جعل في كل ركن من أركـان المسجـد الأربعة مشهداً اتخذ كل منـها على أسماء الصحابة الأربعة فالشرقـي بقبله مشهد على اسم أبي بكر وبه عدة خزائن وكتب وقف. وشامـيه مشهد على اسم

(١) رحلة ابن جبير، ص: ٢٤٤، ابن بطوطة، ص: ٨٨.

(٢) رحلة ابن بطوطة، ص: ٩٣.

علي، والغربي بقبله مشهد على اسم عـمر ويعرف الآن بمشهد عروة، وبه شيخ حديث. وجماعة من العلماء يستـمعون الحديث بوقف مستقل وعدة خزائن وكـتب وقف وشامـيه مـشهد على اسـم عثمـان وبه يصلي نائب السلطان في شـباكه. والحـاكم الشافعي إلى جـانبه، وبهـذا المشهد تعـقد مجـالس الحكام الأربعة والعلماء لفصل الـقضايا المعضلة التي لاينفـرد بها حاكم فيجتمعون بأمر نائب السلطان وينظرون في تلك الحكومة ويحكمون فيها بأجمعهم ثم يقول:

وهذا المسجد معـمور بالناس كل النهار وطرفي الليل. لأنه ممر المدارس والبيوت والأسواق. وفيه ماليس في غيـره من كثرة الأئمة والقراء ومشائخ العلم والإقـراء ووجـوه أهل التصـدير والإفـتاء ووظـائف الحديث وقـراء الأسبـاع والمجاورين من ذوي الصلاح. فلا تزال أوقـاته معمورة بالخـير. آهله بالعـبادة. قل أن يخلو طرفـة عين في ليل أو في نهار مـن مصل أو جالس في ناحية منه لاعتكاف، أو مرتل لقرآن، أو رافعاً صوته بآذان، أو مكرراً في كـتاب علم أو سـائل عن دين أو باحث في مـعتـقد أو مـقرر لمذهب أو طالب لحل مشـكل من سائل ومسـؤول ومفت ومسـتفت. هذا إلى من يأتي إلى هذا المسجد مستأنساً لحديث أو مرتقباً لقاء أخ أو متفرجاً في فضـاء صحنه. وحسن مرأى القـمر والنجوم ليلاً في سـمائه هذا إلى فسـحة الفضاء وطيـب الهواء وبرد رواقاته أوقات الـهجير وحـسن مرائى ميازيبه أحيان المطر وفي كل ناحية من وجهها قمر[١].

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص: ٢٠٣.

مكانة الجامع الأموي ودوره في حياة المسلمين:

لم يقتصر دور المسجد الأموي بدمشق على ماذكرنا من النشاط العلمي الذي أنار الدنيا بل كان لـه دور بارز في حركة الجهاد في سـبيل اللّه ضد الصليبـيين والمغـول وأخيـراً الاستـعمـار الحـديث أثناء الانتـداب الفرنسي على سوريا.

فكان المسجـد الأموي مـوطناً للجهـاد في عهد الانتـداب ففـيه تُلقى الخطب، ومنه تسري روح الجهاد في الناس. فـكان للدين والدنيا وللعبادة والعلم. ولكل مـافـيـه رضـا اللّه ونفع الناس وهكذا يكون المسـجـد في الإسلام[1]، فمن على منبر هذا المسجـد تعلن القرارات وتذاع أوامر الدولة وسياستها الداخلية والخارجية.

فهذا الـعز بن عبدالسـلام يقف خطيباً داعيـاً لمحاربة الصليبيين والـتتار رغم التهديدات التي يتعرض لها.

وهذا شيخ الإسلام الإمـام أحمد بن تيمية الذي امتـطى جواده حاملاً المصـحف في يد والسيـف في اليد الأخـرى، نراه يدفع التـتار وأعـوانهم بالسيف وبالحجج تارة والبراهين تارة أخرى.

هذا هو الجـامع الأمـوي في دمـشق ومـاقـام به من أدوار بطوليـة في مجالات متعددة علمية وسياسيـة واجتماعية وغيرها لم يتوان لحظة واحدة عن مهمته التي أوجد من أجلهـا، منذ أن بناه الخليفة الأموي " الوليد بن عبدالملك "[2].

---

(١) الجامع الأموي في دمشق، ص: ٢١.

(٢) رسالة المسجد في الإسلام، ص: ٢٢٤: ٢٢٥.

جامع المنصور "ببغداد"

تأسيس جامع المنصور:

يعود بناء هذا الجامع إلى مؤسس بغداد أبي جعفر المنصور. حيث جعل موضع المسجد من تلك العاصمة في الوسط وعهد بتخطيطه إلى "الحجاج بن أرطأة".

وقد بدئ بتشييد هذا الجامع في نفس الوقت الذي بدئ فيه ببناء مدينة بغداد "العاصمة"، ويشغل المسجد مربعاً طول كل ضلع من أضلاعه مائتي ذراع، وقد أعاد الخليفة "هارون الرشيد" حفيد المنصور بناء هذا الجامع سنة ١٩٢هـ.

ثم زاد فيه الخليفة المعتضد "أبو العباس أحمد" سنة ٢٨٠هـ، وبهذا يعتبر أقدم جامع أنشئ ببغداد.

وصف الجامع:

يعتبر وصف الخطيب البغدادي لجامع المنصور في تاريخ بغداد أشمل وأجود وصف إذ يقول:

جعل أبو جعفر المسجد بالمدينة ملاصق قصره المعروف "بقصر الذهب" وهو الصحن العتيق فبناه باللبن والطين.

وكانت مساحته الأولى هي "مائتي ذراع طولاً في مائتي ذراع عرضاً أما الثانية فكانت: أربعمائة ذراع طولاً في أربعمائة ذراع عرضاً ولم يزل هذا الجامع على حاله إلى وقت هارون الرشيد الذي أمر بنقضه وأعاد بنائه بالأجر والجص. وكتب عليه اسم الرشيد وذكر أمره ببنائه وتسمية البناء

والنجار وتاريخ ذلك.

وهو ظاهر على الجدار خارج المسجد مما يلي باب خراسان.

أما الزيادات الأخرى في المسجد غير تلك التي حدثت في عهد الرشيد فقد ذكر الخطيب البغدادي أيضاً: بأن الدار المعروفة بالقطان قد ألحقت بالمسجد، وكانت قديماً ديواناً للخليفة المنصور.

إذا أمر مفلح التركي: "وهو أحد قادة الدولة العباسية الثانية" ببنائها على يد صاحبه القطان وجعلت مصلى للناس. وذلك في عام ٢٦١هـ.

ثم زاد الخليفة المعتضد: الصحن الأول ووصله بالجامع، وفتح بين قصر المنصور والجامع العتيق في الجدار سبعة عشر طاقاً منها إلى الصحن ثلاثة عشر طاقاً وإلى الأروقة أربعة وحوّل المنبر والحجرات والمقصورة إلى المسجد الجديد.

ولما أخبر الخليفة المعتضد بضيق المسجد وأن الناس يضطرهم الضيق إلى أن يصلوا في المواضع التي لاتجوز الصلاة في مثلها. أمر بالزيادة فيه من قصر أمير المؤمنين المنصور. إذ بنى مسجداً على مثال المسجد الأول في مقداره أونحوه. ثم فتح في صدر المسجد العتيق ووصل به فاتسع به الناس وكان الفراغ من بنائه والصلاة فيه، سنة ٢٨٠هـ.

النشاط العلمي لجامع المنصور ببغداد:

لقد أصبح هذا المسجد من أشهر مراكز التعليم في الدولة الإسلامية في عهد الخلافة العباسية ومحط أنظار الأساتذة والطلبة في ذلك العهد.

ومما يــدل على تلك المكانة السامية التي كان يحتلها في نفوس العلماء آنذاك هو أن: الخطيب البـغدادي العـالم المشهـور لما حج وشرب مـن ماء زمزم سأل اللّه سبـحانه وتعالى - أن يحقق له ثلاث حاجـات عملاً بقول رسول اللّه - ﷺ - " ماء زمزم لما شرب له ".

إذ كانت الحاجة الأولى التي تمنى تحقيقها هو أن يحدّث بتاريخ بغداد.

أما الثانية فهي أن يملي الحديث بجامع المنصور.

وأما الثالثة: هي أن يدفن إذا مات عند قبر بشر الحافي.

وقد تحقق له أن يحدث بتاريخ بغداد في هذا المسجد.

كمـا كان الكسـائي العالم النحـوي المشهـور يجلس في هذا المسـجد لتدريس علوم اللغة العربية وكان من تلاميذه: الفراء.

مكانة مسجد المنصور ببغداد:

ولقد أدى هـذا المسجد دور بـارز في العديد من النواحي العلمي مـنها والسياسي والثقافي على أكمل وجه، إذ كـان جامع وجامعة يؤمها العديد من طلبة العلم من مختلف أنحاء العالم.

مصير هذا المسجد وما آل إليه:

ومما يؤسف له أن هذا المسجـد قد تهدم وانمحـت آثاره منذ مدة طويلة ولـم يعمـر كما عمر العـديد من المساجد الإسـلامية الجامعـة التي مازالت موجودة حـتى يومنا هذا من أمثال المسـجد الأموي بدمشق والقـيروان في تونس والجامـع الطولوني في مصر، وجـامع عمـرو بن العاص في مـصر أيضاً، والأزهر في مصر والقرويين في فاس بالمغرب.

كما أن البعض منها قد تحول إلـى جامعات مثل الجامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين. يقول البعض عن هذا:

والذي يؤلم أن معالم هذا المسجد قد زالت من الوجود منذ سنين كثيرة ولم يبق أي ذكر له إلا في بعض المصـادر الإسلاميـة الأولى، وحتى تلك المصادر لاتشير إليه إلا إشارة عابرة.

ويقول في موضع آخر:

مكث مسجد المنصور في بغداد الغربية مكاناً يؤدي فيه المسلمون الصلاة من سنة ١٤٥هـ إلى سنـة ٧٢٧هـ أي مايـقرب من سـتـة قـرون[١]، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

---

(١) رسالة المسجد في الإسلام.

جامع القرويين بفاس

تأسيس المسجد:

أسس هذا المسجد " إدريس الثاني " سنة ١٩٢هـ، في عدوة القرويين وكان جـامعاً صـغيـراً يسمى جامع الـشرفاء، وظل على حـالته البـسيطة الصغيرة حتى سنة ٢٤٥هـ، إذ توسع وجدد.

ويرجع سبب توسـعته وتجديده إلى أن فاطـمة بنت محمد بن عـبدالله الفهري قامت بإنفـاذ وصية والدها التاجر الثري. في توسـعة هذا المسجد وتجديده على نفقـتها وأنفقت على ذلك أموالاً طائله، ويعتـبر هذا المسجد من أشهر مساجـد المغرب لاسيما وأنه صار جامعة إسلامـية، كما كان له أثره في الطراز المعماري الإسلامي للمساجد في بلاد المغرب.

النشاط العلمي لجامع القرويين:

ولقد شيد هذا الجامع ليكون مركزاً للتعليم وظل كذلك أحد عشر قرناً حيث يعـتبر من أقـدم الجامعـات الإسلاميـة وإليه يرجع الفـضل في نشر الدين الحنيف والحفاظ على تعاليمه السمحة وحماية لغة القرآن وآدابها وفي عهـد ازدهاره أضيـفت إليه دراسـة الفلسفـة والطب والصيـدلة والطبيـعة والهندسة والفلك.

وقد ابتدأت حلقات التدريس في هذا المسـجد في علوم الفقه والشريعة الإسلامية بشكل منتظم منـذ سنة ٥٣٨هـ، على أيدي علماء أجلاء وفدوا إليه من القـيروان ونقلوا معهم جل العلوم الدينيـة. وقد ازداد ازدهار هذا الجامع في عهد المرابطين وأصبح منذ ذلك الحين مـعهد علوم واسعة تخرج فيـه الآلاف من المغاربة في أجيال مـتعاقـبة وظل على مر العصـور حصناً

للعلوم والمعارف واجتذبت شهرته التي طبقت الآفاق عدداً كبيراً من العلماء الأجانب من أنحاء أوروبا.

نظام الدراسة بهذا المسجد:

كان التعليم في هذا الجامع " جامع القرويين " تعليماً حراً يختار الطالب فيه مايشاء من العلوم ومن يشاء من الأساتذة، وكذلك الكتب التي يقوم بدراستها واستيعابها.

أشهر من تلقوا العلم بهذا الجامع:

لقد تخرج الكثيرون في هذا المكان وهم أعداد لاتحصى، يقول البعض عن هذا المسجد: وتأسست أول جامعة علمية في العالم وكانت هي جامعة القرويين بفاس التي توسعت سنة ٢٤٥ هـ الموافق ٨٥٩م. فكانت مركزاً للعلوم على اختلاف أنواعها وتخرج فيها العديد من العلماء الأفذاذ، والشيوخ الأجلاء وبقيت مركز للاشعاع العلمي الإسلامي ونشر جميع أنواع المعرفة الإنسانية.

وما لبث هذا الجامع أن أصبح جامعة مشهورة تقوم بواجبها في حرية تامة وفي سنة ١٩٣١م صدر مرسوم بتقسيم التعليم بالجامع إلى ثلاث مراحل: ابتدائية وثانوية، وعالية كما تقرر جعله جامعة مؤلفه من ثلاث كليات هي الشريعة والآداب والعلوم[١].

ولهذا المسجد مكانة عالية في نشر العلم ومحاربة الجهل فقام بدوره خير قيام ولازال وسيظل إن شاء اللّٰه.

---

(١) الموسوعة الثقافية، ص: ٣٣٤.

مسجد ابن طولون في القاهرة

قام أبو العباس أحمد بن طولون[1] بتأسيس مسجد عرف به ونسبه إليه وذلك مابين عام ٢٦٣هـ - ٢٦٥هـ الموافق ٨٧٦م - ٨٧٩م.

تاريخ إنشائه:

وقد دون تاريخ إنشائه على لوح رخامي مثبت على أحد أكتاف رواق القبلة يحتوي على عدد من الآيات القرآنية وفي آخرها كتب: أمر الأمير أبو العباس أحمد بن طولون مولى أمير المؤمنين أدام اللّه له العزة والكرامة في الآخرة والأولى ببناء هذا المسجد الميمون. في شهر رمضان سنة ٢٦٥هـ مايو ٨٧٩م سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد كأفضل ماصليت وترحمت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

مكانة جامع ابن طولون:

لجامع ابن طولون مكانة سامية إذ هو ثالث مسجد أسس في مصر.

عمارة المسجد:

هذا المسجد أبدع مافي مصر الإسلامية من آثار وإن كان هو ثالث الجوامع التي أنشئت بمصر فإنه يعتبر أقدم جامع احتفظ بتخطيطه وكثير من تفاصيله المعمارية الأصليةوهو الذي خلد اسم ابن طولون.

---

(١) كانت له الولاية في مصر مابين سنة (٢٥٤ - ٢٧٢هـ).

مئذنة المسجد:

يشتــهر الجامع الطولوني بمئـذنته الفـريدة في نوعها والتي لايوجـد لها مثيل في مـآذن القاهرة ومن المحتمل أنهـا اقتبست من منارة جـامع سامرا والمئذنة تقع في الزيادة الشمالية. وقاعدتها مربعة .

مساحة المسجد:

يعــد جامع ابن طولون مــن أكبـر مســاجد الـعالم الإسـلامي إذ تبلغ مساحته مع الزيادة (٢٧ ٣٠٠) متراً مربعاً.

النشاط العلمي لجامع ابن طولون:

عمد ابن طولون إلى أن يجعل هذا الجامع جامعة علمية تضارع جامعة الفسطاط حيث نقل إليه القراء والفـقهاء والطلبة وعين له القاضي بكار بن قتيبه إمـاماً وخطيباً وأستاذاً يعلم الفقه، وكذلك الـربيّع بن سليمان أستاذاً يعلم الحديث.

وقد رتب الملك المنصور في هذا الجامـع دروساً في الفقه على المذاهب الأربعة ودروس لتـفسـير القـرآن الكريم، ودروساً في الحديــث الشريف، ودروساً للطب.

النشاط الطبي لجامع ابن طولون:

يقول السيوطي: جعل ابن طولون في مـوخرة المسجد دار للشفاء ألحق بها صيدلية أعد فيها من الأدوية وأنواع الشراب مايلزم لإسعاف من يحدث له حادث من المصلين خصوصاً يوم الجمعة.

مسجد ابن طولون:

قلعة ومعقلاً يقاوُم التهديد من أي خطر، هناك من يشير إلى أن أحمد ابن طولون قد عنى بأن يكون مسجده قوياً ليتخذه إلى جانب الصلاة معقلاً إذا تهدده خطر خارجي أو داخلي.

ويعتبر داراً للعبادة وجامعة للعلم وداراً للشفاء ومكاناً للحكم.

الجامع الأزهر

أسس هذا الجامع عام ٣٥٩هـ،أتم جوهر الصقلي تأسيس مدينة القاهرة بعد عام من فتح الفاطميين لمصر وكان أول عمل بناه الجامع الأزهر.

وقد ورد في الخطط للمقريزي (٤/ ٤٩) أن القائد جوهر بدأ عمارته يوم السبت لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩هـ، ولما أتم تشييده بعد عامين فتح للصلاة في شهر رمضان سنة ٣٦١هـ / ٩٧٢م.

موقع المسجد:

ويقع الجامع الأزهر في الجنوب الشرقي من القاهرة، وكان هذا الجامع وقت إنشائه يتوسط العاصمة الفاطمية على النحو الذي كان متبعاً في إنشاء القواعد الإسلامية الأولى.

تخطيط الجامع.

يُعد من الأمور الصعبة التي لايمكن الاهتداء إليها. فقد زاد كثير من خلفاء الفاطميين في بنيانه. وأعيد تجديد أجزاء كثيرة منه خلال القرون الماضية. كما أضيفت إليه زيادات عدة. وإذا كان الجامع لا يزال يحتفظ ببقية من النقوش والكتابات الفاطمية فإن جل أجزائه الحالية من عصور متأخرة[١].

الدراسة بالجامع الأزهر:

ويعتبر الوزير " يعقوب بن كلس " أول من فكر في اتخاذ الجامع الأزهر معهداً للدراسة المنتظمة المستقرة. فقد استأذن ابن كلس الخليفة

(١) مساجد مصر، وأولياؤها الصالحون، ص: ١٦٦، د. سعاد ماهر.

العزيز بالله ٣٧٨هـ / ٩٨٨م في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس. يعقدون مجالسهم في كل جمعة بعد صلاة الجمعة حتى العصر وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيهاً. ورئيسهم ومنظم حلقتهم "العقبة أبو يعقوب" قاضي الخندق، ورتب لهم أرزاقاً وجرايات شهرية حسنة. وأنشأ لهم دار للسكنى بجوار الأزهر وخلع عليهم في يوم الفطر وحملهم على البغال تشريفاً لهم وتكريماً.

وبدأت الدراسة بالأزهر على نظام الحلقات الدراسية ومجالس الدروس الخاصة، وقد اشتهر نظام الحلقات الدراسية بمصر منذ القرن الثاني الهجري. وكانت الفسطاط ومسجدها الجامع منذ القرن الأول مركزاً للدراسة الممتازة وكانت هذه الدراسة في البداية دينية فقهية ثم تطور الأمر بعد ذلك على شتى العلوم الإسلامية. فكان النظام التعليمي للأزهر يتلخص فيما يلي:

١ - كان هناك أستاذ أكبر للمادة يشرف على من دونه. وهؤلاء كانوا يحرصون على ملازمة أستاذهم حتى الممات. وكل أمنيتهم أن يصلوا إلى مثل مرتبته العلمية فالسيوطي مثلاً يحدثنا عن نفسه فيقول: لما حججت شربت من ماء زمزم لأرمو أن أصل في الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقيني، وفي الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر.

٢ - كان الطالب يصح أن يجاز في مادة ويرجأ في أخرى. فهو في مادة أستاذ معلم وفي أخرى طالب تحت الإجازة.

٣ - كانت الشهادات تعطى من الأساتذة وتسمى " إجازة "، وكان الطالب إذا آنس من نفسه القوة في العلم والقدرة على التدريس والإفتاء

طلب من شيخه أن يجيزه. وإليك صورة من هذه الإجازات التي منحت لطالب في القرن الثامن الهجري: الرابع عشر الميلادي: "استخير الله - تعالى - في الإيراد والإصدار والمقصم به من آفتي التقصير والإكثار. واستغفر الله فيما فرط في الجهر والإسرار، وأقول:

إني ذكرت فلاناً زينه الله بالتقوى وحرصه في السر والنجوى. في فنون من العلوم الشرعية العقلية. فالفيتة يرجع إلى معقول صحيح ومنقول صريح واطلاع على المشكلات. واضطلاع بحل المعضلات لاسيما في فقه المذهب. فإنه أصبح فيه كالعلم المذهب. وقام بعلم العربية والتفسير وصارفيها الفاضل النحرير. وقد أجبته إلى ما التمسه وإن كان غنياً بما حصل واقتبس فليدرس مذهب الإمام الشافعي - رضي الله عنه - لطالبيه وليجب المستفتي بقلمه وفيه ثقة بفضله الباهر وورعه الوافر وفطرته الوقادة والمعينه النقادة والله - تعالى - ينفعنا وإياه بما علمناه ويرفعنا بذلك لديه فما المقصود سواه.

٤ - كان للطالب منتهى الحرية في اختيار المادة والأستاذ وله الحرية أيضاً في الغياب والحضور.

٥ - كان لكل كتاب قارىء غالباً وكان الأستاذ قبل أن يلقي درسه يتوجه إلى الله تعالى يستلهمه العون مفتتحاً درسه ببسم الله الرحمن الرحيم. ثم بحمد الله ويصلي ويسلم على نبيه ويرشد إلى المصادر التي رجع إليها في درسه ويسند كل رأي إلى صاحبه، وكانت هناك صلة روحية قوية بين الأستاذ والطالب.

أما عن مواد الدراسة والكتب فقد كانت علوم الدين واللغة دائماً في المقدمة، وكان للعلوم الدينية بنوع خاص أوفر نصيب. فعلوم القرآن والحديث والكلام والأصول والفقه على مختلف المذاهب. وكذلك علوم اللغة من النحو والصرف والبلاغة ثم الأدب والتاريخ. هذه كلها كانت زاهرة تعنى بمذهب أهل السنه وذلك بعد سقوط الفاطميين.

أشهر من تولى التدريس بالأزهر:

لقد تولى التدريس بالأزهر علماء أجلاء كثيرون وأشهرهم:

١ - أبو الحسن بن النعمان، القاضي، توفى ٣٧٤هـ.

٢ - القاضي: محمد بن النعمان، توفى ٣٨٩هـ.

٣ - الحسين بن النعمان.

٤ - الأمير المختار عبدالملك بن محمد بن عبدالله بن أحمد الحداني توفى ٤٢٠هـ.

٥ - أبو عبدالله القضاعي: الفقيه المحدث والمؤرخ البارع من مصنفاته:

"الشهاب" و"سند الصحاب" وهما في الحديث. ومناقب الشافعي وأنباء الأنبياء وعيون المعارف، وكتاب المختار في الخطط والآثار وهو تاريخ مصر والقاهرة حتى عصره.

٦ - ابن بايشاد النحوي الشهير.

٧ - أبو عبدالله محمد بن بركات النموس تلميد القضاعي.

٨- العلامة المقرئ أبو القاسم الرعيني الشاطبي العزيز الذي برع في علوم القرآن واشتهر بالأخص بالتضلع في علم القراءات.

٩- العلامة: الحسن بن الخطير القاري، وغيرهم كثير.

خطيب الجامع الأزهر:

خطيب الأزهر كـان هو الرئيس الديني للمسـجد وهو الذي يتـولى الخطابة في الصلوات الجامعة والحفلات الدينية الرسمية بين يدي الخليفة أو نائبه ويدير شؤون المسجد بوجه عام.

وأخذت وظيفة خطيب الجامع الأزهر تنـمو في الأهمية على مر الزمن تبعاً لأهمية الأزهر نفسه وكانت تنسب إلى أرفع الرجال قدراً وعلماً.

مشيخة الجامع الأزهر:

أما نظام مشيخة الأزهر فـهو نظام حديث يرجع على الأكثر إلى أوائل العصر التركي. ومازال هذا النظام هو القائم بالجامع الأزهر إلى يومنا هذا حيث يتولى الشيخ شؤون الأزهر.

مكانة شيخ الأزهر:

لقد كان لشيخ الأزهر وعلمائه نفوذ خاص يستعين بهم ولاة الأمر كلما اقتضـت الظروف والحوادث. وقد بلغ هذا النفوذ فـيما بعد مـبلغ الرياسة والزعامة في أواخر القرن الثالث عشر الهجري " أواخر القرن التاسع عشر الميلادي"، ولاسيما وقت مقدم الحملة الفرنسية، حيث كان لشيوخ الأزهر رأي سديد وبصيرة نفاذة ورؤية واضحة في جميع القضايا والأحداث.

وقد تعـاقب على مشـيخـة الأزهر كوكبـة من العلماء الأفـاضل بذلوا جهـدهم وقدموا خـدمات جليلة حـتى يوصل الجامع الأزهر رسـالته في خدمة الإسلام والمسلمين وكان من أبرز هؤلاء:

- الشيخ: حسونه النواوي، وأضيف إليه منصب الإفتاء بعد وفاة المهدي العباسي المفتي عام ١٣١٥، وأقيل أول عام ١٣١٧هـ.
- الشيخ: عبدالرحمن النواوي، ١٣١٧هـ، وتوفى بعد عام من توليته.
- الشيخ: سليم البشري، وهو جد للمستشار طارق البشري، نائب رئيس مجلس الدولة ود. ظافر البشري، وزير التخطيط في حكومة د. كمال الجنزوري، ظل فيها إلى أن استقال ١٣٢٠هـ.
- الشيخ: السيد علي الببلاوي تولى بعد استقالة الشيخ سليم البشري في ١٣٢٠هـ، وظل فيها إلى أن استقال في أول عام ١٣٢٣هـ.
- الشيخ: عبدالرحمن الشربيني، واستقال سنة ١٣٢٧هـ، فعاد إلى المشيخه.
- الشيخ حسونه النواوي، للمرة الثانية واستقال في السنة نفسها فتولاها ثانية الشيخ سليم البشري، توفى ١٣٣٥هـ.
- الشيخ محمد أبو الفضل الجيزاوي إلى ١٣٤٦هـ.
- الشيخ محمد مصطفى المراغي إلى أن استقال في سنة ١٣٤٨هـ.
- الشيخ محمد الأحمدي الظواهري، وظل بها إلى أن استقال منها في عام ١٣٥٤هـ فعاد إليها الشيخ: محمد مصطفى المراغي، للمرة الثانية وظل فيها إلى أن توفى سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م.
- الشيخ مصطفى عبدالرازق، توفى سنة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م.
- الشيخ محمد مأمون الشناوي في سنة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م، وظل فيها حتى توفى سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م.

- الشيخ: عبدالمجيد سليم في سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م، وأعفى منها في سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م.
- الشيخ: إبراهيم حمروش في سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥١م. وأعفى منها في سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.
- الشيخ: محمد الخضر حسين في ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م، واستمر فيها إلى أن استقال منها سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.
- الأستاذ الدكتور الشيخ: عبدالرحمن تاج في سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م إلى ١٩٥٨/١٣٧٨م.
- الشيخ: محمود شلتوت في سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.
- الشيخ حسن مأمون في سنة ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م إلى سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- الشيخ: محمد الفحام في سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- الشيخ: الدكتور عبدالحليم محمود.
- الشيخ: الدكتور عبدالرحمن بيصار.
- الشيخ: جاد الحق علي جاد الحق.
- الشيخ الدكتور: محمد السيد طنطاوي، سنة ١٩٩٨م وإلى الآن.

مكتبة الأزهر:

وللأزهر مكتبة عامرة فيها كـتب قيمة مابين مخطوط ومطبوع، وكانت قبل ذلك خزانة كتب.

وقد تأسست المكتبة سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م.

وكان بها عند إنشائها ٧٧٠٠ مجلد.

وفي أوائل هذا القرن كان عددمجلداتها (٦٤٢ ر ٣٦) منها:

٩٣٢ر١٠ من المخطوطات.

وكان في الأروقـة مكتبات لطلابهـا فيها (٠٠٠ر٣٠) مـجلد ضمت إلى مكتبة الأزهر.

فبلغ عدد مافيها (٦٤٢ر٦٦) مـجلداً. ثنتان وأربعون وستمائة وست وستون ألف مجلد.

كلها في عـلوم شتى. فتنوعت المكـتبة بين التـفسيـر والحديث والفـقه واللغـة والأدب، وكل معـارف الإنسـانية وإنما يغلب علـيهـا التخـصص الشرعي في فروع الدراسات الإسلامية.

أروقة الأزهر:

كان بالأزهر ومـايزال عدد من الأروقة التـي تكون بها بعض الإدارات ومجالس العلم وسكنى الطلاب من هذه الأروقة:

١ - الرواق العباسي ٢ - رواق الطيبوسية

٣ - رواق الأقبغاوية ٤ - رواق الأكراد

٥ - رواق الهنود	٦ - رواق البغدادية
٧ - رواق البرنية	٨ - رواق اليمنية
٩ - رواق الجبرت	١٠- رواق الأتراك
١١- رواق السنارية	١٢- رواق المغاربة
١٣- رواق السليمانية	١٤- رواق جاوة
١٥- رواق الشوام	١٦- رواق الصعايدة
١٧- رواق الحرمين	١٨- رواق البرابرة
١٩- رواق دكارنة سليم	٢٠- رواق الشراقوة
٢١- رواق الجوهرية	٢٢- رواق زاوية العميان
٢٣- رواق الحنابلة	٢٤- رواق معمر
٢٥- رواق الفشنية	٢٦- رواق الحنفية
٢٧- رواق الثنوانية	٢٨- رواق الفيومية
٢٩- رواق البحاروة	

محاريب الأزهر:

ويوجد بالأزهر ثلاثة عشر محراباً وذلك بالإضافة إلى المحاريب الموجودة بالمدارس الملحقة بالجامع.

صحن الأزهر ومآذنه:

يتكون صحن الأزهر من مستطيل تحيط به البواتك من جهاته الأربع وكانت أرضاً مفروشة ببلاطات من الحجر الجيري المنحوت. وتحت هذه الحجارة توجد أربعة صهاريج كبيرة للماء العذب ولهذه الصهاريج فوهات من الرخام ناتئة عن سطح الأرض بما يقرب من متر مما يضفي على الصحن منظراً جميلاً. وكان المجاورين يجلسون في الصحن في الشتاء للمطالعة والتمتع بحرارة الشمس ويبيتون فيه في فصل الصيف للاستمتاع بالهواء العليل.

المآذن:

وكان بالأزهر ست مآذن منها مئذنة خارج باب المزينين وعلى يمين الداخل إلى الجامع وهي من إنشاء عبدالرحمن كتخدا، وقد أزيلت.

وهناك ثلاث مآذن تطل على صحن الجامع، وفي الضلع الشرقي للجامع توجد مئذنتان.

ومن التقاليد المرعية بالجامع الأزهر أن يكون المؤذن ضريراً محافظة على عورات أهل المساكن المجاورة للأزهر، وكان لكل مئذنة خلوة ينتظر فيها المؤذن حتى يحين موعد الأذان وكان المؤذن لايؤدي الآذان إلا بعد التبين الميقاتي الذي كان يستدل عليه من سبع مزاول موجودة بالجامع الأزهر.

أربع منها بالصحن لمعرفة وقت الظهيرة، وثلاث جهة رواق معمر لمعرفة وقت العصر.

أبواب الأزهر:

للجامع الأزهر تسعة أبواب أهمها: الباب الرئيس المعروف بباب المزينين، أما الباب الأصلي للجامع وهو المواجه للداخل مما يلي الصحن فقد جدده السلطان الأشرف " قايتباي " في شهر رجب سنة ٨٨٨هـ.

مكانة الأزهر:

لقد كان ومازال للأزهر مكانة عالية ومنزلة سامية في نشر العلم وبث الوعي لا في مصر فقط بل في العالم الإسلامي كله، والمواقف الخالدة للأزهر في العصر الحديث، ذلك الدور الذي قام به ابان الحملة الفرنسية فقد تزعم رجاله الحركة الوطنية التي أدت في النهاية إلى طرد الفرنسيين من أرض وادي النيل.

نسأل الله تعالى أن يعيد للأزهر مجده وقوته في توجيه الفكر والأخذ بيد الأمة إلى طريق الصلاح والإصلاح. إنه ولي ذلك والقادر عليه.

جامع الزيتونة بتونس

تأسيس المسجد:

يعود تاريخ بناء مسجد الزيتونه بتونس إلى " القائد: حسان بن النعمان الغساني أحد القادة الفاتحين لبلاد المغرب الإسلامي ومؤسس تونس حيث جرى العرف عند الفاتحين أثناء تأسيس المدن الجديدة يبدأ القائد إقامة المسجد في وسط المدينة الجديدة، وإن كان قال بعض المؤرخين: إن المؤسس لمسجد الزيتونة: عبدالله بن الحجاب" فالمراد أنه أزال المسجد الأول وهدمه وقام ببنائه من جديد على مساحة أوسع وبنظام أدق.

وجه تسميته بجامع الزيتونة:

وقد سُمى بجامعة الزيتونة: لأن الناس وجدوا زيتونة منفردة في موضع المسجد فقالوا: هذه تونس.

فسمي الجامع بجامع الزيتونة(١)، وهذا هو الراجح، بل ربما أن تونس نفسها التي تشتهر بكثرة الزيتون قد نسب هذا الجامع إلى تلك المنطقة التي تكثر فيها أشجار الزيتون(٢).

النشاط العلمي لجامع الزيتونة:

عن دور هذا المسجد في نشر العلم والثقافة يقول الوزير السراج:

"ظل جامع الزيتونة بتونس كعبة القصاد ونهاية مطاف رواد المعرفة من مغاربة وأندلسيين نازحين وبجانبه مدارس علم تخرج فيها أكابر العلماء

---

(١) المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس، ص: ١٠ لابن دينار.

(٢) رسالة المسجد في الإسلام، ص: ٢٧٨.

وعظام الأدباء"[1].

وقال آخر: جامع الزيتونة هو أسبق المعاهد العلمية للعروبة مولداً وأقدمها في التاريخ عهداً. وقد حمل مشعل الثقافة العربية اثنى عشر قرناً ونصف القرن بلا انقطاع ولا انفصال. تجرد في خلالها لدراسة العلوم وذلك منذ سنة ١٢٠هـ/ ٧٣٧م، وظل على مر العصور مجال للتعليم والبحث والاستنباط فتخرج فيه الفقيه واللغوي والأديب وأصبح أكبر جامعة إسلامية عرفها المغرب بأسره وتفرع من ذوحة الزيتونة أغصان علم وفلسفة زانوا الثقافة البشرية في المغرب والمشرق[2].

وقد أصبح هذا المسجد فيما بعد جامعة للدراسات الإسلامية والعربية حيث قام بدور كبير في خدمة الفكر الإسلامي لا في تونس وحدها بل في شمال الصحراء وجنوبها[3].

أشهر علماء جامع الزيتونة:

لقد لمعت أسماء في تاريخ علوم الإنسانية أناروا الفكر ووجهوا الرأي هؤلاء العلماء نشأو وترعرعوا وتخرجوا في جامع الزيتونة وهم كثيرون من أشهرهم:

١ - أبو محمد خالد بن أبي عمران التجيبي، توفى سنة ١٢٧هـ هذا العالم الذي سمع من القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومن سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب.

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي، د. أحمد شلبي، جـ ٦، ص: ١٧٥٧.

(٢) موسوعة التاريخ الإسلامي، د. أحمد شلبي، جـ ٦، ص: ١٧٥٧.

(٣) تاريخ جامع الزيتونة، محمد عثمان، ص: ٥.

٢ - أبو الحسن علي بن زياد العبسي التونسي، توفى ١٨٣هـ، هذا العالم المشهور تلميذ الإمام مالك بن أنس والليث بن سعد وشيخ البهلول ابن رشد وأسد بن الفرات والإمام سحنون.

٣ - أبو مسعود عبدالرحيم بن أشرس.

٤ - أبو خليل هشام بن خليل.

٥ - أبو البشر زيد بن بشر الأزدي وغيرهم كثير.

مكتبة جامع الزيتونة:

ولقد اشتهر هذا الجامع بوجود مكتبة احتوت على العديد من الكتب وقفت على الطلبة وعين لها متخصصون لمناولة الكتب وإرجاعها إلى أمكنتها وكانت المطالعة فيها من الظهر إلى العصر كما أسند الإشراف العام عليها إلى إمام جامع الزيتونة[1].

وفي القرن السابع الهجري الثالث عشرالميلادي ازدهر التعليم في هذا المسجد. وظل ينشر الثقافة العربية الإسلامية ويقوم بإعداد المعلمين والأئمة والوعاظ والقضاة وكتاب الرسائل. وأصبح لعلمائه مكانة سامية في المجتمع ولعل من أشهر علمائه القاضي سحنون.

وكانت الدروس في هذا المسجد على نوعين:

النوع الأول: دروس يلقيها أصحابها إحتساباً دون وظيفة ولا مرتب.

النوع الثاني: دروس نظامية، وقد استمر هذا المسجد على هذا المنوال يؤدي دوره الريادي، حتى صدر مرسوم ١٣٥٣هـ / ١٩٣٣م اعتبر فيه جامعة تسمى بجامعة الزيتونة، ويسمى شيخه مديراً وجعلت الدراسة فيه

---

(١) جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي للمعمروي، ص: ٤٩، ٥٠.

على ثلاث مراحل هي:

١ - الإعدادية: وتنتهي بشهادة الأهلية.

٢ - المتوسطة: وتنتهي بشهادة التأهيل.

٣ - العالية: وتنتهي بشهادة العالمية مع التخصص في القراءات وعلوم الشريعة الإسلامية والآداب. ثم أضيف إلى مناهجه بعض المواد العصرية واللغات الأجنبية وخصوصاً بعد استقلال تونس.

مكانة جامع الزيتونة:

لم تقتصر مهمة جامع الزيتونة على العبادة ودراسة العلوم الإسلامية والعربية والعصرية وإنما تخطت مهمته ذلك إذ كان لهذا المسجد دور هام في توجيه الحياة في تونس وكان مجمعاً لأفراحهم وملجأ عندما يحل بهم أمر هام فيوحد صفوفهم ويجمع شملهم، ولعل أكبر دليل على أهمية هذا الجامع ومايتمتع به من مكانة سامية في نفوس الناس ومايتمتع به علماؤه من تقدير واحترام ومايشكله هذا الجامع من خطر على مصالح المستعمرين ممثلاً بعلمائه هو أن يصبح في يوم من الأيام هدفاً لهجوم الأسبان ، يقول المعموري: وإذا كانت لجامع الزيتونة هذه المكانة في العهد الحفصي فمن الطبيعي أن تستمر في العهد التركي وهي التي جعلته هدفاً للهجوم الأسباني إذ أحرقوه ورموا بكتبه تحت سنابك الخيل[١]، هذا هو جامع الزيتونة الذي تحول إلى جامعة. والذي كان وسيظل إن شاء الله تعالى ناشراً للعلم رافعاً لواء الفضيلة مدافعاً ومنافحاً عن الحق إلى قيام الساعة إن شاء اللّٰه تعالى.

(١) جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي للمعمروي، ص: ٥٥.

جامع قرطبة

تأسيس المسجد وأوصافه:

أسس هذا المسجد في عهد الأمير الأموي " عبدالرحمن الداخل " في الأندلس بمدينة قرطبة وانتهى منه في سنة ١٧٠هـ، وكان مستطيلاً طوله خمسة وسبعون متراً تقريباً وعرضه خمسة وستون متراً. حيث أراد أن يجعله مماثلاً لجامع دمشق في الشام وكان هذا المسجد يفوق معابد الشرق قاطبة بعظمته وروعته. خاصة بعد توسعته وعمارته حتى اعتبره العديد من الجغرافيين والمؤرخين المسلمين وعلماء الآثار أروع مثل للعمارة الإسلامية والمسيحية على السواء في العصر الوسيط ولقد أصبح للمسجد بعد الزيادات التي كان آخرها زيادة " المنصور " محمد بن أبي عباس واحد وعشرون باباً كلها ملبسة بالنحاس. ويحتوي على مقاصير مسقفة للنساء وعدد أعمدته ألف ومائتان وثلاثة وتسعون عمود كلها رخام وجدار المحراب ومايليه قد أجرى فيه الذهب على الفسيفساء[١].

وبعد الزيادة أصبح: عرض المسجد مائة وخمسة وعشرون متراً وطوله مائة وثمانون متراً. وهي مساحة تبلغ اثنين وعشرين ألفا وخمسمائة من الأمتار المربعة وهي المساحة التي مازال المسجد العظيم يشغلها إلى اليوم والتي يشغل بيت الصلاة أكثر من ثلاثة عشر ألف متر مربع، جعلت منه أعظم بيوت صلاة المساجد في العالم الإسلامي حجماً وأكثرها إتساعاً[٢].

---

(١) نفح الطيب للمقري، جـ ٢، ص: ٨٥.

(٢) المدخل، د. أحمد فكري، ص: ٢٤٧.

من بعض أوصاف المسجد:

روي أن عبد الرحمن الداخل "مؤسس هذا المسجد في قرطبة" أراد أن يجعل هذا المسجد مماثلاً لجامع دمشق على أوسع نطاق ومذكراً الناس بفيض زخارفه بعجائب هيكل سليمان القدسي المجيد الذي هدمه الرومان.

وكان جامع قرطبة هذا يفوق معابد الشرق قاطبة بعظمته وروعته. وترى ارتفاع مئذنته أربعين ذراعاً. وترى قبته الهيفاء تقوم على روافد من الخشب المحفور. وتستند إلى ألف وثلاثة وتسعين عموداً مصنوعاً من مختلف الرخام إذ يتألف منها تسعة عشر صحناً واسعاً طولاً. وثمانية وثلاثون صحناً ضيقاً عرضاً، وترى في وجهه الجنوبي المقابل للوادي الكبير تسعة عشر باباً مصفحاً بصفائح من البرونز بعجيب الصنع خلا الباب المتوسط الذي كان مصفحاً بألواح من الذهب وترى في كل من وجهه الشرقي الجانبي ووجهه الغربي الجانبي تسعة أبواب مشابهة لتلك الأبواب[1]

ومن أبلغ الأوصاف لهذا المسجد هو الوصف الذي ذكره المقريء في كتابه "نفح الطيب" إذ يقول: "والجامع ـ قدس الله تعالى ـ بقعته ومكانته وثبت أساسه وأركانه قد كُسي ببردة الازدهاء وجلى في معرض البهاء.

وكأنما ضربت على سمائه كُلل. أو خلعت على أرجائه حلل. وكأن الشمس خلفت فيه ضياءها. ونسجت على أقطاره أفياءها فترى نهاراً قد أحدق به ليل كما أحدث بربوة سيل. ليل دامس ونهار شامس. وللذبال تألق كنفضفة الحيات، أو إشارة السبابات في التحيات[2] إلى آخر هذا

(١) حضارة العرب، ص: ٢٨٤.

(٢) نفح الطيب للمقري، جـ ٢، ص: ٩٠.

الوصف البليغ.

وقال آخر في وصفه: " أما جامع قرطبة فهو تحفة معمارية لا مثيل لها يحيط به سور يرتفع إلى ثمانية أمتار، وقد بُني من الأحجار الضخمة. كما أن ارتفاع الجامع ثمانية أمتار أيضاً. وطوله مائة وثمانية وستون متراً وعرضه مائة وخمسة وعشرون متراً وفي داخله الأقواس الأنيقة المزينة بالقيشاني. كما أن أعمدته من المرمر ذات الألوان الجذابة. ولكي تعرف عظمة هذا المسجد يكفي أن تعرف أنه يضم تسعمائة عمود، كما أن عدة الأعمدة في ساحته الخارجية مائتين من الأعمدة كما أن محراب المسجد من المرمر وقد كتب أعلاه بالخط الكوفي:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين﴾ وتحت هذه الآية ترى هذه الكلمات:

"الإمام الحكم. أمير المؤمنين"(١).

النشاط العلمي لجامع قرطبة:

لقد كان هذا الجامع قبلة المسلمين من كل مكان في أوروبا وغيرها لنيل العلم والثقافة الإسلامية والعربية. إذ كان جامعة إسلامية يقصدها العلماء والطلبة من كل مكان من المسلمين وغير المسلمين.

فلقد ثبت أن كثيراً من نصارى الأندلس الذين كانوا يعيشون في ظل المسلمين قد تعلموا فيه علوم العربية واستعربوا وتثقفوا بالثقافة العربية إضافة إلى تعلم العلوم الأخرى لمشاركة المسلمين في حياتهم ورغبة منهم

---

(١) بيوت الله، ص: ٦٦.

في تقلد المناصب الكبرى في إدارة الدولة.

يقول بعض الباحثين: ولايقل المركز الذي يحتله مسجد قرطبة الجامع في تاريخ العلوم العربية والإسلامية عن مكانته في التاريخ المعماري الإسلامي، فقد كان هذا المسجد من أول إنشائه جامعة حقيقية تحفل بالشيوخ والطلاب وقد تعاقبت عليه أجيالهم. وشدت إليه الرحال من نواحي الأرض كلها، حتى كان خلال قرون طويلة أعظم مراكز العلم في أوروبا[(١)].

ويقول في موضع آخر: ومع أن الدولة لم يكن لها إشراف مباشر على التدريس في جامع قرطبة كما كان الحال في الجامع الأزهر: إلا أن أهل العلم الأندلسيين عرفوا كيف يضعون من القواعد والنظم ماحفظ لجامعهم مستواه العلمي الرفيع.

فكان شيوخ أجل الشيوخ وأوفرهم علماً وأحسنهم سمتاً وكانت الدراسة تسير فيه وفق نظام دقيق قرره الشيوخ أنفسهم وحافظوا عليه.

أنشطة المسجد الأخرى:

ولم يقتصر دور هذا المسجد على العبادة ومدارسه العلم بل نرى أن هذا الجامع قد ظل طوال تاريخ حياته داراً للقضاء في قرطبة.

إذ كان القاضي فيه كل يوم في ركن من أركان بيت الصلاة وإلى جواره كاتبه ودولاب محفوظاته الذي يسمى "القمطر" وأمامه المتخاصمون وفي مؤخرة مجلس القضاء كان يجلس نفر من المحامين وكانوا يسمون

(١) المساجد، ص: ١٩٧.

بالوكلاء وكـان لايؤذن لأحد بأن يكون خـصماً أو وكيـلاً إلا بإجازة من قاضي قرطبة وكان الـرجل يستطيع أن يوكل عنه واحداً من هؤلاء المحامين ويقرر ذلك بين يدي القاضي ويتصرف كما نفعل نحن اليوم[١].

ما آل إليه مسجد قرطبة:

وبعد سـقوط الأندلس وزوال دولة الإسلام مـنها تعرض هذا المسـجد للخراب والدمار بل وتحولت أجزاء منه إلـى "كنيسة " ولله الأمر من قبل ومن بعد.

يقول أحد المؤرخين:

وقد حُوِّل المسجد إلى كاتدرائية عندما استولى الأسبان على قرطبة سنة ١٢٣٦م، ثم أنشئت في الجانب الغـربي منه كاتدرائية صغيـرة. أمر ببنائها الملكان الكاثوليكيان "فرناندو، وايزابيلا ".

وفي القرن السادس عشر وعلى وجه التحديد سنة ١٥٢٣م، أنشئت في قلب الجامع كاتدرائيـة كبيرة كاملـة شوهت وسط الجامع تشويهاً مـؤسفاً، وقد أنكر الأمـبراطور كارلوس الخامس المعـروف باسم " شارلكان " هذا البناء المقحم على الجامع العظيم الذي أفسـد الصورة الرائعة التي كان بيت الصلاة في هذا المسجد يمتاز بها. ومن غريب الأمر أن بيت الصلاة لايزال محتفظاً إلى اليوم بمعظم بهائه وجماله[٢].

وبالرغم من كـثرة التـغيـيرات التي طرأت على المسـجد بـعد سـقوط الأندلس والتشويه الذي لحق به إلا أنه لايـزال حتى الآن يحمل طابع الفن

---

(١) المساجد، ص: ١٩٩.

(٢) المساجد، ص: ١٩٧.

العربي الإسلامي: وفي هذا يقول الدكتور: غوستاف لوبون:

ولايزال جامع قـرطبة من المباني المهمـة مع ما أحدثه الأسبـان فيه من التلف والفساد ومع تلك الكنيسة التي أقاموها فيه.

وكان مما صنعه الأسبان: أن كلسوا زخـارف جدره وكتاباته ونزعوا منه فسـيفساء أرضـه. وباعوا تحف سقفـه الخشبـية المحفورة فـيجب على من يرغب في تمثل ماكـان عليه جامع قرطبة أن ينظر إلى مـحرابه الذي تفلت وحده من التخريب.

وأما محراب جامع قرطبة فـإننا نعترف بأنه من أجمل ما تقع عليه عين بشر[1]، هذا هو جامع قرطبة. منارة الـعلم والحضارة في بلاد أوروبا قديماً وحديثاً. وهذه شهادات الأعداء. تشهد بمكانة هذا المسجد، وتشيد بما بلغ فيه الفـن المعماري الإسلامي إلى قـمته وهذا حقد الغـرب على الإسلام. لقد دمر هذا المسجد ينبوع العلم والمعرفة وحول إلى كنائس وكاتدرائيات.

ومهـما حدث فإن الإسـلام قادم: **﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾** [الشعراء، الآية: ٢٢٧]، **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾** [المنافقون، الآية: ٨].

﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ④ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الروم، الآيات: ٤-٥] .

---

(١) حضارة العرب، ص: ٣٥٢.

الخاتمة

لعل ماذكرناه عن المسجد ودوره في المجتمع الإسلامي استناداً إلى الآيات التي وردت في القرآن الكريم وإلى السنة المطهرة قولاً وفعلاً يقيم أمام المسلمين في هذا العصر أعظم الأدلة على أن المسجد هو أطهر الأماكن في أرض المسلمين وأرض غيرهم وأولى الأماكن لأن تنطلق منها دعوات الهداية والاصلاح للمجتمعات الإسلامية فالمسجد هو الجامع للناس على خير الدين والدنيا، وهو المدرسة الأولى لابناء المسلمين وجامعة شبابهم ومقر رعاية ضعفائهم وذوي الحاجة منهم وتظهر صفات المساجد وأهميتها على الأخذ بين المجتمعات الإسلامية في آيات القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ فالمساجد أفضل بقاع الأرض وأطهرها وأحب الأماكن إلى اللّه عز وجل، وهي الركيزة الأولى في بناء المجتمع الإسلامي، ورسالتها رسالة عالمية وإنسانية مستمدة من رسالة الإسلام نفسه وقد أدى المسجد دوره الكبير في كل عصور الإسلام حين عرف المسلمون رسالته على وجهها الصحيح والكامل فأخرج المسجد أجيالاً غاية في الطهر والنقاء، نفع اللّه بهم أمة الإسلام في شتى ميادين الحياة ولايزال المسجد قادراً على النهوض بالأمة في جميع المجالات فقد أدت المساجد في القديم دور الجامعات والمعاهد العلمية ومراكز البحوث في العصر الحديث كما أن المسجد مازال حتى الآن هو المكان الأنسب الذي يستطيع أن يقوم بدور التلقين للأفكار الدينية التي يتشربها الطفل، كما يمكن عن طريق المسجد توظيف سلوك الطفل توظيفاً اجتماعياً ودينياً وللمسجد أيضاً دور كبير في غرس القيم التربوية في نفوس المسلمين تؤدي رسالتها نحو

الطفل المسلم ونحو الشاب المسلم فـقد كانت المساجد في القـديم جامعات إسلامـية مفتـوحة يرتادها أبناء الأمم الأخرى بجـانب أبناء المسلمين وإلى جانب ذلك كان للمسـجد رسالته الاجتماعية الفـذة التي قلّما تجدها بهذا السُموِّ وهذا الوضوح عند غير المسلمين لا في القديم ولافي الحديث ولكننا في عصرنا الحاضر نلاحظ اقتصاراً وانحساراً في دور المسجد.

وكان من أهم أسباب انحسار دور المسجد في الوقت الحاضر مايلي:

أ - ضعف الوازع الديني لدى كثير من أبناء المسلمين.

ب - انخداع كثير من المسلمين بزخرف الحضارة الغربية.

جـ - انتشار البدع بسبب جهل المسلمين بأمور دينهم.

د - التغييب المتعمد لدور المسجد من جانب بعض حكام المسلمين.

وكان من أخطر نتائج انحسار وتراجع دور المسجد ما يلي:

أ - انتشار التطرف والتعصب لدى الشباب.

ب - انفصال سلوك المسلم عن عبادته.

وحتى لانفقد الأمل في عـودة المسجد إلى رسالته السامـية في المجتمع الإسلامي فإنه ينبغي علينا :

أ - أن ندقق في اختيار الأئمة والخطباء وإعدادهم إعداداً جيداً.

ب - الاعتناء بحلقات العلم كما كانت من قبل.

جـ - لابد من إلحاق بعض الخدمات الاجتماعية بالمساجد.

د - ضرورة بناء قاعات للمحاضرات العامة بالمساجد الكبرى

لاستخدامها في الأغراض الثقافية والاجتماعية.

هـ - ضرورة وأهمية تزويد المساجد بالمكتبات العامة التي تساعد الباحثين والدارسين على الاطلاع عليها والإستفادة منها.

و - ضرورة اهتمام الحكام والأمراء بالمساجد وأن يولوها اهتمامهم وعنايتهم كما كان يفعل الحكام قديماً.

ز - ضرورة ربط الأنشطة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها بالمساجد.

ومن يمن الطالع أن أولي الأمر في المملكة العربية السعودية يولون رسالة المسجد جل اهتمامهم ويقومون خير قيام على شؤون المساجد مبنى ومعنى بدءاً من أفضل المساجد وهو المسجد الحرام والمسجد النبوي إلى كل مسجد في أنحاء المملكة وخارجها، واللّه نسأل أن تكتمل عمارة المساجد كلها بالمؤمنين: ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾ وعندئذ يكتمل بناء المجتمع الإسلامي كله على هدي الإسلام ورسالته.

وصلى اللّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهــارس

أولاً: فهرس الآيـات القرآنيــة

ثانياً: فهرس الأحاديث النبويــة

ثالثاً: فهرس الكلمـات الغريبــة

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الكلمات الغريبة

المصادر والمراجـــع

١ - القرآن الكريم.

٢ - إحيـاء علوم الدين. - الغزالي. - بيروت: دار المعـرفة للطباعـة والنشر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٣ - الأخبار الطوال. - الدينوري ؛ تحقيق عبـدالمنعم عبدالله عامر. - القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٠م.

٤ - أخبـار مكة وماجاء فـيها من الآثـار. - الأزرقي ؛ تحقيق رشـدي الصالح ملحس. - ط٤. - مـكة المكرمـة: مطـابع دار الثـقـافـة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٥ - الأزهر في ألف عـام. - محمـد عبـدالمنعم خفـاجي. - القاهرة: المطبـعة المنيرية، ١٣٧٤هـ.

٦ - أشهر المساجد في الإسلام. - سيد عبدالمجيد بكر. - جدة: مطابع سحر، ١٤٠٠هـ.

٧ - أعـلام العلماء الأعـلام ببناء المسجد الحـرام، عبدالكريم بن محب الدين القطبي ؛ تحقيق أحمد محمد جمال وعبدالعزيز الرفاعي. - الرياض: دار الرفاعي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٨ - الأغاني - الأصفهاني- بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، د.ت.

٩ - الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل. - مجير الدين العُليمي الحنبلي. -.

١٠- بيوت الله. - مأمون غريب. - القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٨٠م.

١١- تاريخ الأمم والملوك. - مـحمـد بن جرير الطبـري ؛ تحقـيق محمـد أبو الفضل إبراهيم. - بيروت " دار سويدان، د.ت.

١٢- تاريخ بغداد. - الخطيب البغدادي. - مصر: مطبعة الخانجي، ١٣٤٩هـ.

١٣- تاريخ البيمارستانات في الإسلام. - أحمد عيسى بك. - دمشق: المطبعة الهاشمية، ١٣٥٩هـ / ١٩٣٩م.

١٤- تاريخ التربية الإسلامية. - أحمد شلبي. - القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٧٨م.

١٥- تاريخ جامع الزيتونة. - محمد بن عثمان الحشائشي. - تونس: مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، ١٩٨٥م.

١٦- تاريخ الحضارات العربية والإسلامية قبل الإسلام وفي العهد الأموي. - أبو النصر عمر.

١٧- تاريخ العرب. - حسين زكي.

١٨- تاريخ عمارة المسجد الحرام.... - حسين عبدالله باسلامة. - جدة: تهامة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

١٩- تاريخ القدس. - عارف العارف. - مصر: دار المعارف، د. ت.

٢٠- تاريخ مدينة القدس. - رفيق شاكر النتشه وإسماعيل أحمد ياغي وعبدالفتاح أبو علية. - عمان: دار الكرمل، ١٩٨٤م.

٢١- تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. - محمد بن جرير الطبري؛ تحقيق محمود محمد شاكر. - القاهرة: دار المعارف، د.ت.

٢٢- تفسير القرآن العظيم. - ابن كثير. - مصر: مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

٢٣- تهذيب تاريخ ابن عساكر. - عبدالقادر بن أحمد بن زيدان. - دمشق: المكتبة العربية، د.ت.

٢٤- توسعة الحرمين الشريفين. - وزارة الإعلام. - الرياض: وزارة الإعلام، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٢٥- الجامع الأموي في دمشق. - علي الطنطاوي. - جدة: دار المنارة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٢٦- جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي. - الطاهر المعموري. - تونس: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠م.

٢٧- الجامع الصحيح. - البخاري. - استانبول: المكتب الإسلامي، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٢٨- الجامع الطولوني.

٢٩- جامع عمرو بن العاص في الفسطاط. - محمود أحمد. - القاهرة: محمود أحمد، ١٩٣٨م.

٣٠- جامع قرطبة. - غدير عبدالرحمن السيد. - الدمام: كلية الآداب للبنات، ١٤٢٠هـ.

٣١- جامع القرويين. - عبدالهادي التازي. - بيروت: دار الكتاب اللبناني. - ١٩٧٣م.

٣٢- جامع القيروان بتونس.

٣٣- جامع المنصور ببغداد.

٣٤- الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي. - عبدالجليل حسن عبدالمهدي. - عمان: مكتبة الأقصى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٣٥- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة.- السيوطي ؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.- القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٨م.

٣٦- حضـارة العرب.- غوستـاف لوبون؛ ترجمة عـادل زعيتـر.- القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ت.

٣٧- حليـة الأولياء وطبقـات الأصفـياء.- أبو نعـيم الأصبـهاني، أحـمد بن عبدالله.- ط٥.- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٣٨- الخطط.- المقريزي.- بيروت: دار صادر، د.ت.

٣٩- بدرة الثمينة.- ابن النجار.- دمشق: دار الفكر، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

٤٠- رحلة ابن بطوطة.- ابن بطوطة.- بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.

٤١- الرحلة.- ابن جبير.- بيروت: دار صادر، د. ت.

٤٢- رسالة المسجد. . . .- عبدالرحمن الحوت.

٤٣- رسالة المسـجد في الإسلام.- عبـدالعزيز محـمد الميلم.- د.م: د.ت، ١٤٠٧هـ.

٤٤- الروض الأنف في تفـسيـر السـيرة النبـوية لابن هشـام.- السهـيلي.- بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٤٥- زاد المعـاد في هدي خيـر العـباد.- ابن قـيم الجوزيـة ؛ تحقـيق شعـيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٤٦- سنن الترمذي.- الترمذي.- سـوريا: دار مكتبة دار الدعوة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

٤٧- سنن الدرامي.- الدرامي.- القاهرة: دار إحياء السنة النبوية، د. ت.

٤٨- سنن أبي داود. - أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. - دار إحياء السنة النبوية.

٤٩- السنن الكبرى. - أحمد بن علي النسائي ؛ تحقيق عبدالغفار سليمان البنداري وسيد حسن. - بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٥٠- السنن الكبرى. - البيهقي. - الهند. - حيدر أباد الدكن: دائرة المعارف النظامية، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م.

٥١- سنن ابن ماجه. - محمد بن يزيد، ابن ماجه. - الرياض: شركة الطباعة العربية السعودية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٥٢- سير أعلام النبلاء. - الذهبي؛ تحقيق شعيب الأنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي. - ط٢. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ.

٥٣- السيرة النبوية. - إسماعيل بن عمرالبصيري، ابن كثير ؛ تحقيق مصطفى عبدالواحد. - بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٣م.

٥٤- السيرة النبوية. - ابن هشام ؛ تحقيق همام عبدالرحيم سعيد ومحمد عبدالله أبو صعيليك. - الأردن: مكتبة المنار، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

٥٥- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية. - دكتور مهدي رزق الله أحمد. - الطبعة الأولى. - ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م ؛ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

٥٦- شمس العرب تسطع على الغرب. - زيغريد هونكه ؛ تعريب فاروق بيضون وكمال دسوقي. - ط٢. - بيروت: المكتب التجاري، ١٩٦٩م.

٥٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. - القلقشندي. - القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت.

٥٨- صحيح ابن حبان.- ابن حبان.- المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٥٩- صحيح ابن خزيمة.- محمد بن إسحاق السلمي، ابن خزيمة.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٦٠- صحيح مسلم.- مسلم القشيري ؛ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.- الرياض: إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

٦١- الصحيح المسند.- يعقوب بن إسحاق الأسفراييني.-.

٦٢- صفة صلاة النبي....- الألباني.- دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م.

٦٣- الطبقات الكبرى.- ابن سعد.- بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٦٤- العقد الفريد.- ابن عبدربه الأندلسي ؛ تحقيق مفيد محمد قميحة.- ط٣.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م.

٦٥- عمدة الأخبار في مدينة المختار.- أحمد بن عبدالحميد العباسي.- د.م: أسعد درابزوني، د. ت.

٦٦- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة ؛ تحقيق نزار رضا.- بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت.

٦٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري،تصحيح وتحقيق بإشراف ابن باز نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٦٨- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الساعاتي. - القاهرة: دار الشهاب، د. ت.

٦٩- فتوح البلدان. - البلاذري. - القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ١٣١٨هـ.

٧٠- فصول من تاريخ المدينة المنورة. - علي حافظ. - جدة: شركة المدينة المنورة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٧١- الفنون الزخرفية العربية الإسلامية. - عبدالعزيز حميد وصلاح العبيدي. - بغداد: جامعة بغداد، ١٩٨٢م.

٧٢- قصة الحضارة. - ول ديورانت ؛ ترجمة محمد بدران، اختيار وترجمة الإدارة الثقافية. - ط٢. - القاهرة: جامعة الدول العربية - لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٤م.

٧٣- الكامل في التاريخ. - ابن الأثير. - بيروت: دار صادر، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

٧٤- كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب السته. - نور الدين أبو الحسن الهيثمي. - بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ.

٧٥- الكشف والبيان في تفسير القرآن. - أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي. -.

٧٦- الكعبة المعظمة والحرمان الشريفان عمارة وتاريخاً. - عبيداله محمد أمين كردي. - المملكة العربية السعودية: مجموعة بن لادن السعودية، د. ت.

٧٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. - علي بن أبي بكر الهيثمي. - بيروت: مؤسسة المعارف، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٧٨- محاضرات الأدباء ومحاولات الشعراء والبلغاء. - الحسين بن محمد بن المفضل، الراغب الاصفهاني. - بيروت: دار مكتبة الحياة، د. ت.

٧٩- مرآة الحرمين. - إبراهيم رفعت باشا. - بيروت: دار المعرفة، د. ت.

٨٠- المساجد. - حسين مؤنس. - الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٨١- مساجد القاهرة ومدارسها. - أحمد فكري. - القاهرة: دار المعارف، د. ت.

٨٢- مساجد مصر وأولياؤها الصالحون. - سعاد ماهر محمد ومحمد توفيق عويضه- مصر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

٨٣- مسالك الأبصار في الممالك والأمصار. - ابن فضل الله العمري. - القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٤م.

٨٤- المستدرك على الصحيحين. - الحاكم النيسابوري. - الرياض: مكتبة ومطابع النصر الحديثة، د. ت.

٨٥- المسجد الأقصى. - صقر المقيد. - مجلة الأمن والحياة. - عدد ٩٤. - السنة الثامنة. رمضان ١٤١٠هـ.

٨٦- مسجد البصرة. . . . - محمد رجب البيومي. - بيروت: دار الشروق، ١٩٨٢م.

٨٧- المسجد الحرام. - فواز علي الدهاس. - الرياض: مجلة البحوث الفقهية المعاصرة. - العدد ٢٩. - ١٤١٦هـ.

٨٨- مسجد قباء أول مسجد بني في الإسلام. - سيف الدين الكتب. - بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ.

٨٩- مسجد الكوفة.

٩٠- المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي.- علي عبدالحليم محمود.- القاهرة: ١٣٩٦هـ.

٩١- المسند.- ابن حنبل.- ط٢.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٩٢- مسند أبي يعلي.- أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي.- دمشق: دار المأمون للتراث، ١٩٨٤م.

٩٣- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه.- أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري.- بيروت: الدار العربية للطباعة والنشر، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٩٤- المعارف.- ابن قتيبة ؛ تحقيق ثروت عكاشة.- القاهرة: ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م.

٩٥- المعجم الأوسط.- سليمان بن أحمد بن أيوب، الطبراني.- الرياض: مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ / ١٩٨٥م.

٩٦- معجم البلدان.- ياقوت الحموي.- بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

٩٧- المعجم الكبير، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد ؛ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.- العراق: وزارة الأوقاف العراقية.- إحياء التراث الإسلامي، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

٩٨- من روائع حضارتنا.- مصطفى السباعي.- بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

٩٩- موسوعة التاريخ الإسلامي.- أحمد شلبي.- القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٠م.

١٠٠- الموسوعة الثقافية.- حسين سعيد وآخرين.- القاهرة: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ١٩٧٢م.

١٠١- الموسوعة العربية الميسرة.- محمد شفيق غربال.- ط٢.- بيروت: دار نهضة لبنان للطبع والنشر، ١٤٠١هـ.

١٠٢- المؤنس في أخبار افريقية وتونس.- محمد بن أبي القاسم، ابن دينار.- بيروت: دار المسيرة، ١٩٩٣م.

١٠٣- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.- ابن تغرى بردى.- القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٢م.

١٠٤- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.- المقرئ ؛ تحقيق إحسان عباس.- بيروت: دار صادر، ١٣٨٨هـ.

١٠٥- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار.- محمد بن علي بن محمد الشوكاني.- بيروت: دار الجبل، ١٩٧٣م.

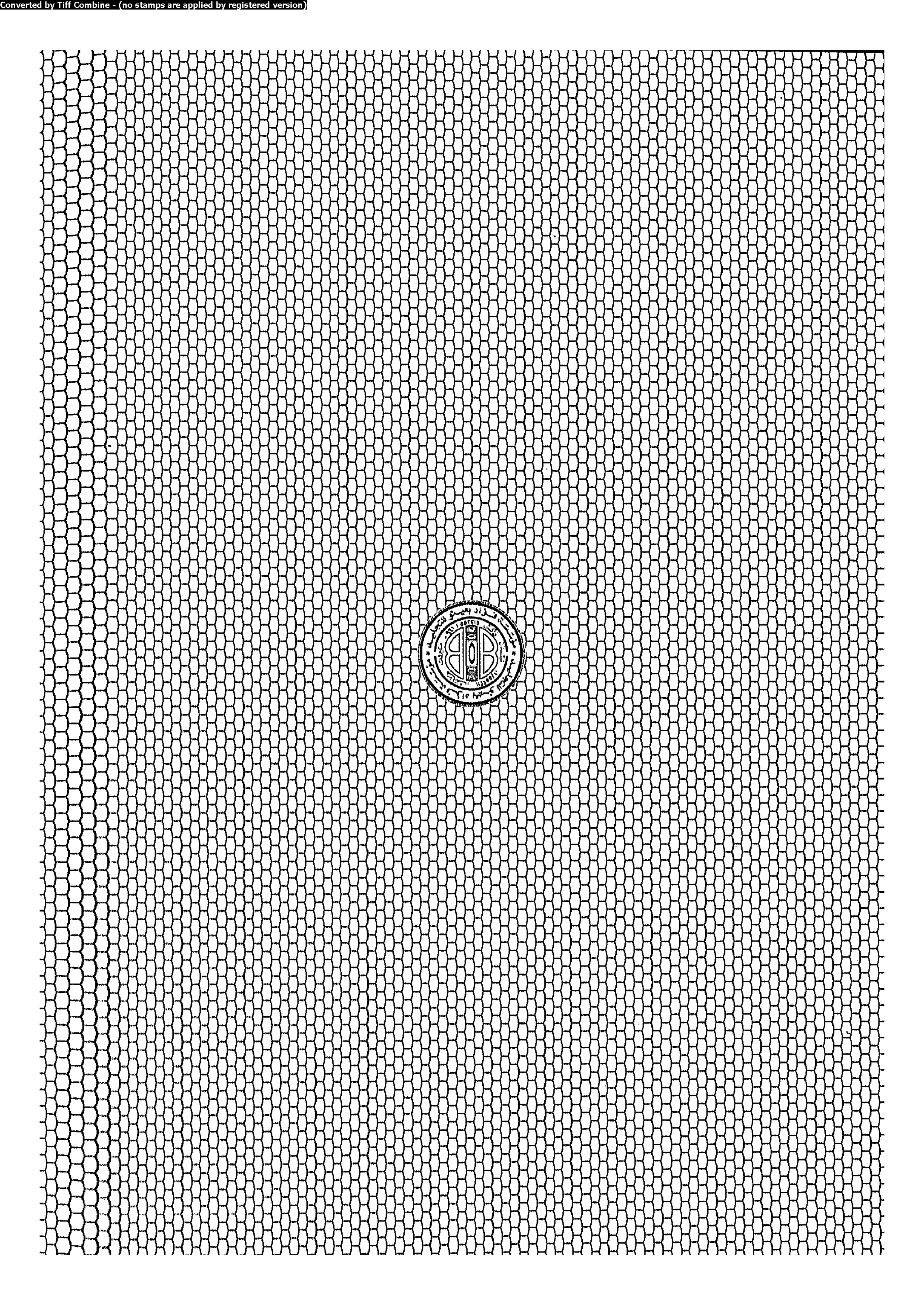
١٠٦- الوفا بأحوال المصطفى.- ابن الجوزي ؛ تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

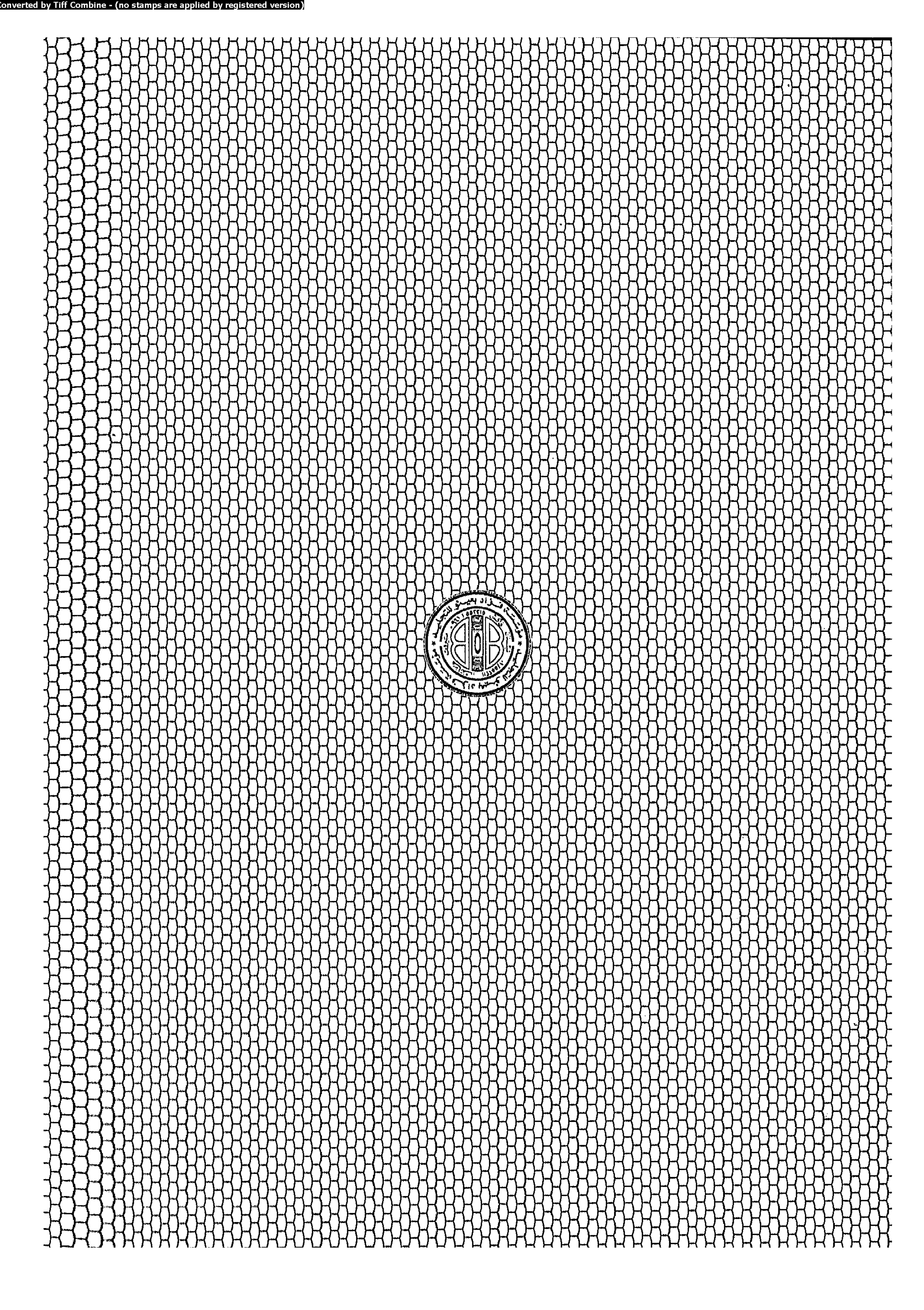
١٠٧- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى.- السمهودي.- مصر: مطبعة الآداب، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.

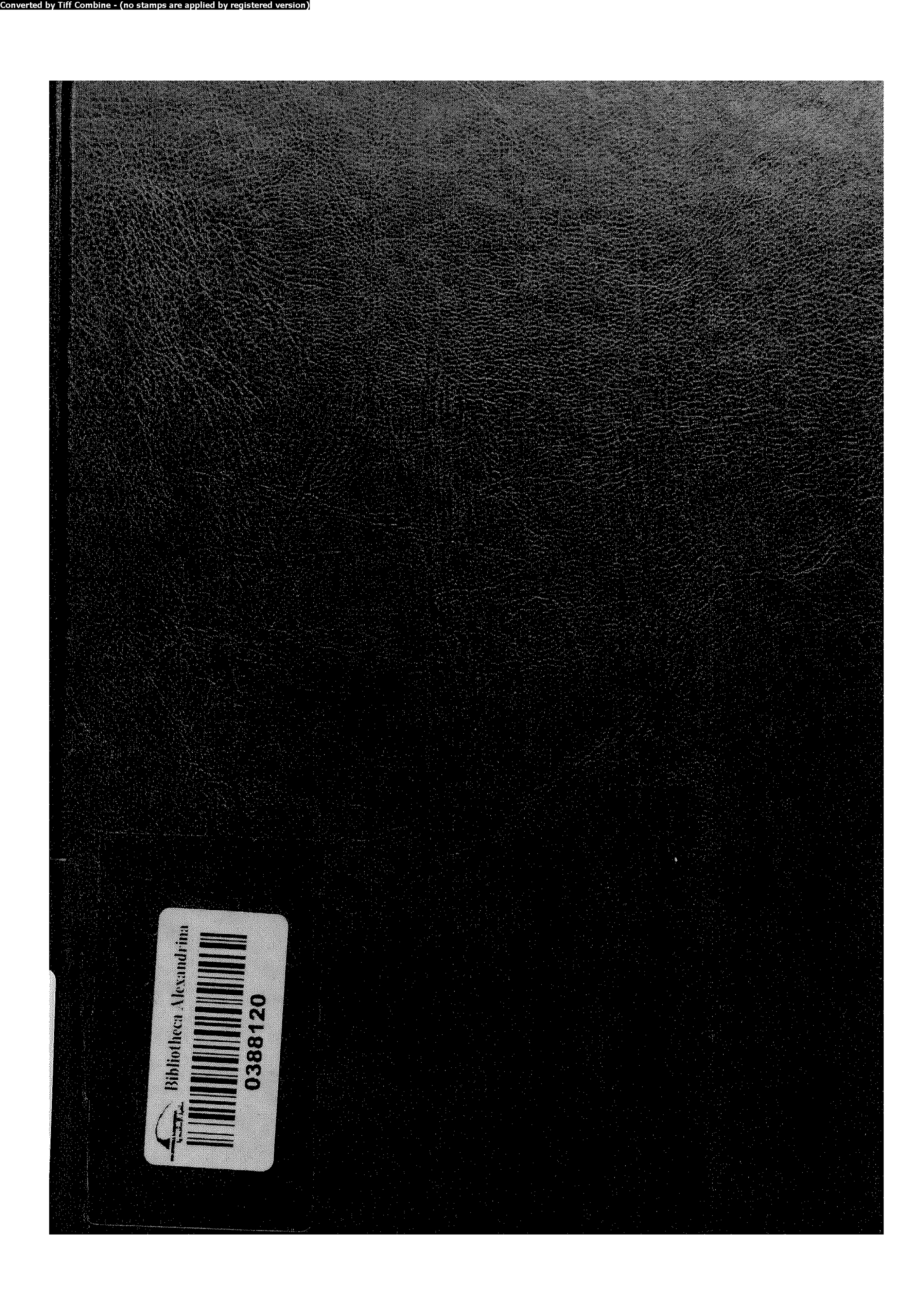











Bibliotheca Alexandrina
03388120